الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي
العقيد أكلي محند اولحاج
البويرة

معهد اللغات والادب العربي
قسم اللغة العربية وآدابها

الوجود الإنساني عند أبي العلاء المعري ديوان اللزوميات – نموذجا-

مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس

من إعداد الطلبة:

* - حفيظة ڤلال
* - نجاة قولال

إشراف الأستاذة:

* - صبيرة ملوك

السنة الجامعية : 2010م /2011م .

إهداء:

الحمد لله الذي هدانالهذا وَ ماكُنّا لِنَهْتَدِي لولا أن هدانا الله، ألا لا آلاء إلاَّ آلاء الإلاه

و بعد:

إلى سبب وجودي في الحياة، اللّذان كانا لهما

الفضل في نجاحي و إرتقائي إلى هذا المستوى:" إلى الوالدين الكريمين"

إلى إخوتي و أخواتي كلٌّ باسمه، إلى أزواجهنّ و أولادهنّ.

إلى كل صديقة محبّة و وفيّة رافقتني في رحلتي الدراسية

خاصة صديقاتي في الجامعة، (نجاة، نعيمة، سهام، رزيقة)

إلى أستاذي، و أستاذتي في الطور الإبتدائي.

إلى جميع أساتذة معهد اللغات و الأدب العربي بالبويرة

خاصة الأستاذة المشرفة.

إلى كل من يفرحه نجاحي.

أهدي هذا العمل.

حفيظة

إهداء:

أهدي هذا العمل:

إلى من قال فيهما الرحمن:" واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً ".

إلى رمز العاطفة و الإحسان و بحر العطاء و الجود

أبي الغالي

إلى منبع الحنان و الإطمئنان التي رافقتني بدعواتها في كل زمان و مكان.
أمي الحبيبة
إلى جدتي الغالية حفضها الله
إلى من تمنى لي دائماً النجاح و كان سنداً في الحياة إلى الشمعة
التي أضاءت بيتنا وانطفأت إلى الأبد
إلى روح أخي محمد رحمه الله
إلى إخوتي: هارون و أحمد ،وليد و مدلل العائلة يونس
إلى أخواتي: ليلى إيمان، وفاطمة الزهراء و زوجها
فوضيل وولديهما: دلال و عامر
إلى صديقاتي و رفيقاتي في مشواري الجامعي: حفيظة، نعيمة، سهام، رزيقة.
إلى الأستاذة المشرفة التي ساعدتنا بتوجيهاتها و نصائحها
إلى كل من حضر في قلبي
و غاب عن قلمي
أهدي ثمرة جهدي هذه.

نجاة

مقدمة:

كان الأدب دائماً تعبيراً عمّا يختلج في النفس البشرية من أفكار و مشاعر و مواقف، تعكس في عمومها صورة الحياة و جوانبها المختلفة ،لذا كانت الإبداعات الأدبية في مجملها ترتبط إرتباطاً وثيقا بالإنسان، و كل ما يتعلقُ به من قضايا و مشاغل و اهتمامات، و من أجل هذا فإنّ الكثير من الأدباء من عبّرُو عن القضايا الإنسانية الكبرى التي شغلت وحيّرت فكرهم، و كثيرا ما ارتبطت هذه الإنشغالات بتساؤلات فلسفية و ميتافيزقية متعلقة بالإنسان و وجوده و مصيره، و ذلك كان بغية الوصول إلى أجوبة شافية على هذه التساؤلات.

و من هؤلاء نجد " أبو العلاء المعري" هذا الأديب المبدع الذي تأمّل في الحياة فدفعه تأمله إلى إخضاعها للتّساؤل و الفكر و التحليل، فكانت له مواقف كثيرة من الإنسان و وجوده في هذا العالم، و هذا ما يظهر من خلال مؤلفاته خاصة ديوانه اللّزوميات، الذي كان حافلاً بهذه المواقف و الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث، كنموذج مساعد على فهم و توضيح موضوع البحث المرتبط بالوجود الإنساني عند أبي العلاء المعري.

و كان سبب إختيار هذا الموضوع راجع في عمومه إلى اهتمام الكثير من الأدباء بشخصية أبي العلاء المعري، و تأليفهم كتب كاملة حوله، أمّا السبب الخاص فيتمثل في حب التعرّف على هذه الشخصيه المنفردة و المنعزلة و المتشائمة كما وصفها الأدباء من جهة، و الرّغبة في اكتشاف الدافع من وراء مواقفه هذه من الإنسان ووجوده من جهة أخرى، لذا كانت الإشكالية التي تمحور حولها البحث متمثلة في: كيف كان موقف أبي العلاء من الوجود الإنساني؟ و مامدى تجلّيه في ديوانه اللزوميات؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا خطّة قسّمنا فيها بحثنا إلى: مقدمة، مدخل تمهيدي، و فصلين نظري و تطبيقي و خاتمة.

أما المدخل فهو عبارة عن توطئة وذكر للظروف و العوامل التي أثّرت في فكر أبي العلاء المعري، أمّا فيما يخص الفصل الأوّل فخصصناه لعرض بعض القضايا الوجودية عند المعري، كأصل الإنسان و مكونات العالم التشاؤمي عنده من قصور المعرفة الإنسانية، الزمان، الشر، الموت، وكذا ذكر منطلقات التفكير العلائي في الوجود، كالقول بعدميته و عبثيته، و في الفصل الثاني التطبيقي، فقد عرضنا مختلف المواقف العلائية من الإنسان ووجوده من خلال ديوانه اللزوميات، مثل موقفه من المرأة، من الأغنياء و رجال الدين، و كذا موقفه من النسل، و في خاتمة البحث تم استخلاص بعض النتائج المتوصّل إليها.

وقد اخترنا لدراستنا المنهج الوصفي التحليلي، الذي يساعد على شرح و توضيح الإبداعات الأدبية و بالتالي الكشف عن المقاصد و المواقف المراد تبليغها.

أمّا فيما يخص أهم المراجع التي اعتمدنا عليها فتتمثل في: كتاب الشعر العربي القديم لكاميليا عبد الفتاح، و كتاب قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري لعبد القادر زيدان، و كتاب أبي العلاء المعري ضمن في سبيل موسوعة فلسفية لخليل شرف الدين، هذا إضافة إلى مراجع أخرى.

و في الأخير نرجو استفادة الطلاب من بحثنا المتواضع هذا.

مدخل:

الظروف و العوامل المؤثرة في فكر أبي العلاء المعربي.

1- الظروف السياسية و الإقتصادية.
2- الظروف الإجتماعية.
3- اضطراب الحياة الدينية.
4- فلسفة أبي العلاء و تأثره بالثقافة اليوتاتية و الهندية.

الظروف و العوامل المؤثرة في فكر أبي العلاء المعري:

من أجل معرفة، و فهم نظرة أبي العلاء إلى هذا الوجود الإنساني لابد من التطرق إلى أهم الظروف أو الأسباب أو العوامل التي كان لها فائق الأثر على شخصية و فكرة، هذه الشخصية التي عبرت عن رأيها و موقفها بكل جرءة و شجاعة، إذ أنه من البديهي أن يتأثر المعري مثله مثل أي إنسان بالأحوال و الظروف الموجودة في مجتمعة، و الوسط الذي يعيش فيه، و العصر الذي عاش فيع " أبو العلاء" متمثل في عصر العباسين.

إذا أنه كان من الطبيعي أن ينهار كل شيء في العصر العباسي الثالث، كدولة و مؤسسات و مجتمع، وأن يزدهر في الوقت نفسه كل ما يتعلق بالفكر، فتبلغ الفلسفة أوجها، و الشعر قمته و النثر أعلى مراقي بلاغته، كما إزدهرت العلوم و تطورت ميادين تطبيقها، الشيء الذي إنعكس على الإنسان العربي في تفكيره، و سلوكه، وفي حضارته عامة.

و هذا الإزدهار الفكري و الحضاري كما يقول ابن خلدون ظاهرة طبيعية بعد قيام الدولة، و إبان تمازج العرب بغيرهم من الأمم، ذوات الحضارت العريقة، ثم أخذهم عنها عادانها و تقاليدها، و معطيات فكرها، و هظم كل ذلك و تمثله و بعبارة أخرى تعريبه، و كانت قمة العطاء متمثلة في هذا العصر، كما

كانت القمة نفسها نذيرا للإنحدار الوشيك، إذ مالبثت أن تصدعت و مالت نحو الحضيض، و الواقع المؤسف أن الازدهار يرافقه دائما الإنهيار و هذا الأخير كان نهاية التطور الحاصل في ذلك العصر.[1]

و كان " أبو العلاء المعري" يمثل « ظاهرة من ظواهر التطور الحاصل في المجتمع، فكان إنسانا مغايرا، متميزا، إنسانا رافضا أي جديد، فلم يتعامل مع ناس عصره ليكشفهم بل تعامل مع نفسه أولا، ثم مع الوجود مباشرة، فبداله الوجود بالنظر التأملي سخيفا، ورائعا في آن واحد، سخيفا عندما يزيف الحكام وظيفتهم فينقلبون جلادين للشعب، سخيفا يوم يرى رجال الدين يتخذون من الدين مجرد مطية حتى يؤدي هذا إلى الشك بالدين نفسه، و يكون رائعا حين يرفض العقل كل هذا و يتحرر منه، رائعا لحظة يحس أنه قادر على التعبير و التغيير»[2]

1- الظروف السياسية و الإقتصادية في عصر أبي العلاء:

" إن أبسطت مفهوم للسياسة، و أدق تعريف لها هي: " العلاقة الإنسانية بين الحاكم و المحكوم مما يحافظ على إنسانية كل منهما، و يكفل له وجودا كريما[3]." و قد انتفى هذا المعنى مجتمع " أبي العلاء" ويؤكد شعره هذا، حيث أن ولاة الأمر يرعون مصالحهم، و يشبعون رغباتهم، و شهواتهم، و يؤمنون حياتهم، و حياة ذويهم تحسبا لأي إنقلاب أو غزو. أو أي شر متوقع، وسط هذا الضجيج من العناصر الأجنبية، ووسط فرق و مذاهب داخل المجتمع فضلا عن الثورات و الفتن الداخلية، و في ذلك إنتفت العلاقة الإنسانية بين الحاكم و المحكوم فيصبح الأول يستبد بالأمر و يمتلك سلطات مطلقة حتى فيما لا يعنيه، ويصبح الثاني محروما من كافة حقوقه السياسة حتى الضروري منها.

إن الحالة المزرية التي وصلت إليها الدولة الإسلامية بعد أن أصبحت ملكا للعصبيات التي أخذت طريقتها إلى رياسة الدولة، وأصبح لها الدور المخرب في إدارة أمورها، وكانت النتيجة إنقسام المملكة الإسلامية و إشتداد الحروب، والفتن بين الفرس، و الترك، و العرب، فكان من الطبيعي أن يتقلص ظل الخلفية و سلطاته، ليصير في النهاية ألعوبة في أيدي القادة من هذه العصبيات الوافدة، كما كانت أطماع الروم في طريقها لابتلاع الشام كلها من أيدي المسلمين، فلم يكن "أبو العلاء" غافلا عن الأطماع البيزنطية في بلاد الشام، وما زاد الأمر سوءا إنشغال القادة العرب بالصراع، و إنقسامهم إلى سنيين و شيعيين.[4]

« لقد عاصر " أبو العلاء" الحكم الفردي في أحط أدواره، و أضعف أحواله، فنفر منه أشد النفور لما نجم عنه من الكوارث و المظالم، ودعا الحكام إلى الرفق بالرعية، بل طالب بما للرعية من حق على الحاكم، كما عاصر " أبو العلاء" التفكك السياسي الذي أحدثه صراع الحمدانيين، و الفاطميين بالشام، و الثورات المزيفة، و تبعثر الأمصار العربية كافة، فرأى بعينه تمزق الكيان العربي و المجتمع الإسلامي، و اختفاء البطل الثوري عن ساحة الخلافة[5] » و قد دفع كل هذا بالمعري إلى رؤية سوداء لعموم المجتمع الإسلامي.

---

[1] - ينظر: خليل شرف الذين، أبوا العلاء المعري مبصرين عميان، ضمن في سبيل موسوعة فلسفية "4". منشورات دار مكتبية الهلال. بيروت، 1405ه – 1985م، ص7 ، 8.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص9، 12.

[3] - كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية 2008م، ص111.

[4] - ينظر: عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، ج2، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ط1، الإسكندرية، 2002م، ص104 ، 106.

[5] - كميليا عبد الفتاح، المرجع السابق. ص112.

و هذا التدهور الحاصل على المستوى السياسي، لابد أن يتبعه تدهورا آخر على المستوى الاقتصادي و هذا ما حصل فعلا إذ ظهرت الطبقية. التي كان سببها:« شيوع النتوءات غير المنظمة، فأولياء الأمر منشغلون بأنفسهم عن العدالة التي لا تتجزأ، و التي إن إختل ميزانها كانت مختلة في الميادين الأخرى، وفي ظل هذا الإضطراب يستفعل التفاوت الطبقي، فيلجأ من ضاعت حقوقه إلى كل خرافة ممكنة تعدهم بالسعادة و الأحلام بينما يلجأ البعض الآخر إلى الإنطواء داخل ذاتهم المشوهة، و ينضوي صنف ثالث تحت ما هو سائد – أيا كان – معترفا بمشروعيته طالبا منه النجاة و الخير، فيرى " أبو العلاء" إنعدام المقايس التي تحكم الواقع، و الخلل في الواقع الإقتصادي و في الواقع ككل، يرى " أبو العلاء" في هذا كله عجزا معنويا يضاف إلى عجزه الجسدي.»[6]

2- الظروف الإجتماعية:

يقول " اليازجي" أن المعري عاش في مجتمع « كثر فيه اللّهو، وشاع السكر، وإنتشر الفسق، و هذه الافات الإجتماعية هي أمّهات الرّذائل، فلا عجب إذن أن يكثر فيه الكذب، و الرياء، و الغش، و السعاية، و الإغتصاب و التعدي، و الغدر و الإغتيال»[7]

و إذا كان مجتمع " أبا العلاء" بهذه الصورة فإنه حتما لم يساعده على التكيق مع محنة بصره، أو التعامل الطبيعي معها، ولا مساعدته على الخروج من آلام تجاربه الشخصية بل كان يظيف إلى هذا الألم أصناف أخرى منه عمقت يأس " أبي العلاء" من الحياة و الأحياء في عمومهم و التفسير الإجتماعي للظواهر الإدبية يقوم على توضيح العلاقة بين الأديب و مجتمعه و بيئته، فمن الحقائق المسلم بها أنه هناك علاقة بين الأديب و مجتمعه و تؤثر هذه العلاقة بكل ماتتسم به من أبعاد و إيجابيات، و تناقضات في نفسية الأديب و تبدوا واضحة في عمله الأدبي، و لهذا فإن الأديب حين يتأثر بالمجتمع، و يتخذ لنفسه موقف فكري منه فإنه يعكس فهمه للمجتمع و تأثره به، و هذا ما حدث عند " المعري" و لعل أكثر ما يدل على تاثير المجتمع في نفسية " أبي العلاء" هو إفتتاح لزومياته بقوله:[8]

أولو الفضل في أوطانهم غرباءُ تشذو و تنأ عنهم القرباءُ

فحين تفتتح اللزوميات بهذا البيت فإن ذلك يدلنا على بالغ معاناة " أبي العلاء" من المجتمع، وما خلفه هذا المجتمع من مشاعر سلبية على نفسه.

« إن " أبا العلاء" قد أنظجه ألم محنته – محنة البصر – و فرض عليه ميلا إلى إستقطاب النقائص في كل شيء حوله طلبًا للعزاء و التعويض، فإذا إجتمع هذا الميل الشخصي الحاد إلى ظروف إجتماعية تفرض التوجه إلى النقد اللاذع و تفرض إلتقاط النقائص لأنها مليئة بها، أدركنا أي عين ينظر بها أبو " العلاء" إلى مجتمعه»[9].

3- اضطراب الحياة الدينية:

« إن إضطراب الحياة الدينية عامل من عوامل إفساد الحياة السياسية و خلل للواقع الإقتصادي، كما أنّه نتيجة لهما معا، كما أدى إلى إضطراب كثير من القيم و المفاهيم الدينية، و هو يستتبع ضعف أثر العقاب و التواب في كثير من النفوس، بل يستتبع قابلية هذه النفوس للتحلل و الإفساد إعتمادا على الخلط

---

[6] - كاميليا عبد الفتاح، المرجع السابق. ص113،111.

- كمال اليازجي، أبو العلاء و لزومياته، دار الجبل، ط2، بيروت، 1417ه – 1997م، ص302.[7]

- ابو العلاء المعري، لزوم مالايلزم (اللزوميات)، مج1، دار صادر، بيروت، ص32.[8]

كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم،ص 107.[9]

الذي اجتاح الحياة، و طمس معالم الحقائق فيها، كما أن الحياة الشاقة تدفع بعض النفوس إلى هجر العقيدة ضنا منها انها تنجو حين تتسع رقعة إحتيالها على الرزق بما لايتفق مع جوهر الدين »[10]

و قد تناول أبو العلاء الحياه الدينية في عصره بنقد عنيف لم ينجُ منه أحدٌ من الأفراد أو المواهب و الفرق، و أصحاب الديانات المختلفة، وهو يرى أن الدين عند الأفراد لا يمثل سوي قضاء بعض الوقت من حياتهم لاجل غسل خطاياهم و ذنوبهم وذلك مع للإستمرار الدائم في المجون، و إرتكاب المعاصي دون حرج من ذلك، فالدين عندهم ليس إلا ممارسة عابرة عند إستعصاء المجون، أو ملجأ لقضاء الفراغ، وهذه النفوس- بالنسبة لأبى العلاء- ليست جاهلة بإثمها و إنما هي عالمة به، ولكنها غير مكترثة.[11]
و من هنا يتضح أن الدين في مجتمع أبي العلاء لا يمثل العقيدة المقدسة التي تمنح النفس الإنسانية الثقة و السكينة، و إنما هو إرث متنقل تترجمة المظاهر المادية و الخارجية فقط، أما جوهر الدين فهو غائب.

ويزيد " أبو العلاء" مرارة تناحر الفرق الفاسدة المغرضة، وأصحاب الأفكار الساذجة الواقفين عند القضايا التي لا تغني و لا تسمن من جوع، ولا تتعلق بجوهر الدين أو علاقة الإنسان بخالقه، فيتوجه إليهم بالسخرية، وإلي القائلين بالتناسخ، والملاحدة و المتشيعين و غيرهم، ويعرض لهم النصح و الجدال.

إن إضطراب الحياة الدينية لها علاقة وطيدة بالمعرى و مجتمعه، ومثل هذه العلاقة تؤكد إنعدام الثقة بين الطرفين، بحيث شعر بأنه مهدد فيه بخطر التلوث باللون السائد، و مهدد بفقد الماهية حيث يقول: [12]

و أردتموني أن أكون مدلسا هيهات غيري آثر التدليسا

4 – فلسفة أبي العلاء و تأثره بالثقافة اليونانية و الهندية:

أ- فلسفة:

" ان ابا العلاء شاعر مطبوع، صاحب قريحة خصبة قادرة على الإبداع، كما يملك قوة الإقتدار الفني، وهي القوة التي تعمل تحت سيطرت الطاقة الذهنية، و المخلية، وذلك على الرغم من عفويتها واستقلاليتها عن هذه الطاقة، و خضوعها المباشر لامرة قوة الطبع . . . فكثيرا ما وصف الباحثون
" أبا العلاء" بفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة، وهذا الوصف ناتج من سيطرت هذه الطاقة الذهنية التي وضعت "أبا العلاء" هذه الموضع، وسمت به هذا السمة في تاريخ شعرنا العربي" [13]

و الواقع أن هذا الوصف يحمل الكثير من سمات الحقيقة، خاصة إذا اعتبر الشعر أداة لنقل الفلسفة، وما كان شعر" أبي العلاء" سوى ذلك حيث كان أداته الوحيدة للتعبير عن تأملاته في الكون و الكائن أي تعبيرا عن فلسفته الخاصة، إلا أنها تبدو فلسفة مظطربة بحيث لا تشكل نظاما موحدا لأرائه و مواقفه، و أبو العلاء في هذا الإعتبار " فيلسوف اللحظة أمام حقيقة من حقائق الوجود يراها بكل صفائها و عمقها، بعد أن يعريها من شوائبها، و ستائرها الكثيفة".[14]

---

[10] المرجع نفسه،ص 115.
[11] ينظر، المرجع نفسه، ص 116.
[12] أبو العلاء المعري، اللزوميات.مج2،ص 37 .
[13] شعيب خلق، التشكيل الإستعاري في شعر أبي العلاء،دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ط1،كفر الشيخ2008م،ص 297.
[14] خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، ص 44.

" إن أبا العلاء باعتباره شاعرا شخصانيا و عقلانيا،اي أنه عائد الي ذاته، متحررا من الماضي، فهو يبرز فيلسوف كامل بهذا الإعتبار، خاصة عندما ينتهي الي رفض وجوده المأسوي ... وأبو العلاء يجد نفسه دائما في حالة التميز و التمرد و اللاانتماء ..... وحسبه أنه حين يكون في دائرة الفكر و العقل، والتأمل و الحكمة، و الإبداع، يخرج نهائيا من دائرة الشعراء التقليديين و يقرب جدا من الفلسفة التي كانت و لا زالت تطرح هذا السؤال: من أين؟و الي أين؟ ماذا وراء الحجاب ؟ وهذا الانسان من هو؟ وما مصيره؟"[15]

أما حسب رأي " شوقي ضيف " فقد كان أبو العلاء يتساءل: كيف نحكم على الأشياء؟
و ما هي أدواتنا في المعرفة؟ هل هي الحس؟ أو الفكر؟ أم هما جميعا؟ ولكنه لم يصنع شيئا من ذلك، و إنما كل ما فعله أنه استراح الي العقل في الحكم على الأشياء و ألقى عليه العبئ كله ولو أنه صاحب عقل فلسفي لشك في هذا العقل نفسه، و امتحنه و أخضعه للتجربة على نمط يحلل فيه المعرفة في الطبيعة فهو لم يكن يفكر التفكير الفلسفي الذي يقوم على صنع كليات، و إنما كان يفكر تفكيرا أدبيا يقوم على التشاؤم و السخط، وهو يعرض هذا التفكير في أراء متفرقة ومفككة لا يطرد لها نظام،ولا سياق فكري متماسك.[16]

ب- تأثره بالثقافة اليونانية و الهندية:

لقد تضاربت الروايات بين المؤرخين برحيل " أبو العلاء" الي طرابلس، و تعريجه على اللاذقية، و رحلته إلي أنطاكية بين مؤيد و معارض، إلا أن طه حسين " يرجح صدق الرواية التي قالت بحدوث الرحلة من خلال معرفة أبي العلاءبأسرار الديانتين الياهودية، و النصرانية، وتمثلت هذه الدلائل لديه على النحو التالي:

أولا:

معرفة أبي العلاء بأسرارهما عن طريق دراسته لهاتين الديانتين في حين لم تكن متاحة له في المعرة لأن حياته العلمية لم تكن تسمح بذلك.

ثانيا:

يري طه حسين أن أبا العلاء قد درس هاتين الديانتين في اللاذقية، مستبعدا فكرة دراستهما في أنطاكية."[17]

ومن خلال ذلك تعرف أبو العلاء على الفلسفات اليونانية و الفارسية التي كانت منتشرة في عصره بواسطة الترجمات، ودرسها دراسة متقنة و تأثر بها، حيث أخذ العقلانية عن اليونان، و الزهد و الإعتزال عن البوذيين، ولعل نباتية أبي العلاء و فلسفته الخاصة بتحريم أكل اللحم ومشتقاته هي ما دفعت ببعض الدارسين إلي اعتباره متأثرا بالثقافة اليونانية، في حين يري " شوقي ضيف": " أن هذه النباتية ليست من مذاهب اليوناني ولا من فلسفتهم بل هي مذهب هندي يرجع إلي البراهمة."[18]

كما أن المعري كان مطلعا على الثقافة الهندية، ويظهر هذا من خلال معرفته بالسمات البارزة لها، من خلال إقامته القصيرة في بغداد كما سبق و أشرنا حيث يظهر التقاءه ببعض العادات و التقاليد و العقائد الهندية في لزومياته كطرحه لفكرة التناسخ مثلا، وكذا حرق الهندي بعد وفاته.

و من خلال ماتقدم نستنتج أن كل هذه الظروف على اختلافها كان لها بالغ الأثر على شخصية " أبي العلاء" و فكره حيث ساهمت في بناء و تشكيل النظرة العلائية للوجود الإنساني، و لعل أكثر ما عمق هذه النظرة محنته في فقد بصره و إحساسه الحاد بالعجز، و إصطدام هذا العجز بظروف مجتمعه الذي لم يمنحه فرصة تحقيق ذاته.

---

[15] المرجع السابق، ص 46 ، 47

[16] ينظر شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف،ط2، القاهرة ، 1993م ص ص 393، 394.

[17] عبد القادر زيدان،قضايا العصر في أدب العلاء المعري،ج1 ص ص 78، 80 .

[18] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص 189.

الفصل الأول :

قضايا وجودية عند أبي العلاء المعري

1- أصل الإنسان عند المعري.

2- مكونات عالم أبي العلاء التشاؤمي.

أ- قصور المعرفة الإنسانية.

ب- الزمان.

ج- الشر.

د- الموت.

3- منطلقات التفكير العلائي في الوجود.

أ- القول بالعدم وإلغاء الغاية من الوجود.

ب- عبثية الوجود.

1- أصل الإنسان عند المعري:

من القضايا التي شغلت تفكير " أبي العلاء " قضية أصل الإنسان و تفرّعه، و تعددت و اختلفت أراؤه في ذلك، فأحيانا يشك في التفرّع من أب يدعا آدم و أم تدعا "حواء" بحيث يفهمهما فهما رمزيا خالصا حيث يقول:[19]

جائز أن يكون آدم هذا قبله أدم على إثر آدم

كما يرفض "أبو العلاء " فكرة أنّ الإنسان سليل الحيوان، وجده الأدني القرد، و هذا ما يتّضح من خلال قوله:[20]

قال قوم ولا أدين بما قالوه أن بن آدم كابن عـــرس
جهل الناس ما أبوه على الده ر و لكنه مسمى بحـــرس
في حديث رواه قوم لقوم رهن طرس مستنسخ بعد طرس

غير أنّ" محمد سليم الجندي" يؤكد أن " أبا العلاء" يثبت وجود آدم ولا ينكره بالرغم من شكوكه في تعدد آدم أحيانا، كما ينفي ما يذكره " طه حسين في أن " أبا العلاء" يشك في أبوة آدم للإنسان، ويستدل " سليم الجندي" على ذلك بكتب " أبي العلاء" التي ذكرت آدم. واهتمت بأخباره، ومنها ما ذكره في اللزوم في مواطن كثيرة من أمثلتها.[21] قوله: [22]

دع آدم لا شفاه الله من هبل يبكي على نجله المقتول هابيل

اما غرائز الإنسان فقد بحث "أبو العلاء " فيها، وصرف عنايته الي مايتصل بالأخلاق منها وقضى شطرا كبيرا من حياته يتحرى فيه أحوال الناس في عصره، وينقّب على الإنسان الكامل، فرأى جملة من الأخلاق العامة الفاسدة، سادت مجتمعة ومن ذلك الرياء، والنفاق، فتوصل بذلك الي أن الإنسان شرير بطبعه، وأن الفساد غريزة فيه ولذلك لم ينتظر له إصلاحا، ولم يرج لأمراضه شفاءا، فآثر العزلة و الإنصراف عن الناس و المجتمع حيث يقول:[23]

إن مازت الناس أخلاق يعاش بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء

---

[19] - أبو العلاء المعري، اللزميات، مج2 ،دار صادر، بيروت، ص 488 .

[20] - المصدر نفسه، مج2، ص 66.

[21] - ينظر ،تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء وعمر الخيام، الدار الثقافية للنشر، القاهرة،ط1 ،1423ه 2003م ،ص216.

[22] - أبو العلاء المعري، الصدر السابق، مج 2 ، ص 295.

[23] - المصدر نفسه ، مج 1 ، ص 48.

وإذا كان " المعري " يدرك قيمة الانسان فإنه يدرك مكوناته وغرائزه، ولذلك فهو يري :

- أن الغرائز تعم الناس جميعا.
- أن الغرائز تتحكم في مكونات الإنسان منذ الصغر حتى الهرم .
- محبة الدنيا غريزة .
- بعض الغرائز ذميم.
- الشر في الإنسان غريزة.
- توجد خصومة بين الطبع و العقل.
- الغرائز طباع.
- العقل ينهى عن أمور كثيرة، ولكن الطبع و الغريزة يجذبان المرء إليها .[24]

ولقد أدرك " المعري " أن الإنسان نفس وجسم، ولا يمكن لإحداهما أن يكون دون الآخر و هذا ما يتّضح من خلال شعره حيث يقول:[25]

الروح و الجسم من قبل اجتماعهما كانا وديعين لا هما و لا سقما.

يؤكد " المعري" على الوحدة الإنسانية، وهي النفس و الجسد، فالروح سبب معاناة الجسم و شرور الإنسان، إذ أن العلاقة بينهما علاقة صراع و إن ما يبتغيه " أبو العلاء" من التفكير في هذا الصراع هو التأكد من إمكانية غلبة الروح على الجسد و من ثم إمكانية تفوّق الإنسان على فطرته و مادّته المصنوع منها.

و من خلال معرفة " المعري" للإنسان و مكوناته، و علاقة نفسه بجسمه نجده ألزمه بفضائل هي أخلاقية في المقام الأول، و نذكر على سبيل المثال: فضيلة الصدق حيث يقول[26]

إن عذب المين بأفواهكم فإن صدقي بفمي أعذب

2- مكونات عالم أبي العلاء التشاؤمي:

يقول المعري:[27]

غير مجد في ملّتي و اعتقادي نوح باكٍ ولا ترنّم شادي
و شبيه صوت الناعي إلى قيـ س بصوت البشير كل نادي

لقد كانت مرثية " أبي العلاء" المشهورة في " الفقيه الحنفي" زاوية من زوايا فهم عالم " أبي العلاء" التشاؤمي، إذ كيف يستوي البكاء و الغناء؟، و كيف يتشابه في أذن المتلقي صوت البشير الذي

---

[24] - ينظر: سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين، دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر و التوزيع، ط1، الإسكندرية، ص91.

[25] - أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2، ص448.

[26] - المصدر نفسه، مج1، ص107.

[27] - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري مبصرين عميان، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1405ه – 1985، ص189.

يؤذّن بميلاد حياة جديدة، و صوت الناعي و هو يعلن على الاحياء فاجعة النهاية و قسوة الرحيل؟ هل هي حقيقة من حقائق إدراك " أبي العلاء" لعمق المأساة الإنسانية، و مأساة الوجود؟

رثا " أبو العلاء" الإنسانية جمعاء من خلال رثائه لصديقه هذا إذ نهض من صميم الحادثة الخاصة إلى النظر الشامل في الحياة و الأحياء، وظلّت الحكمة و التشاؤم غالبتان على هذه الرؤية، لذلك فإنّ الحديث عن النزعة التشاؤمية عند " أبي العلاء"، و التي تنبع من تلك الرؤية الواقعية التي تبرز بوضوح وجود الإنسان في هذا العالم، هذه الحقيقة التي عجز العقل المحدود على تفسيرها، فلجأ إلى تغليفها بأغلفة من وهم.[28]

و من اهم الملامح التي شكّلت عالم أبي العلاء التشاؤمي على المستوى الميتافيزيقي نجد:

أ) قصور المعرفة الإنسانية:

لقد إهتم " أبو العلاء" بهذه المشكلة العقلية، و المرتبطة بسر وجود الإنسان و عدمه و تطلعه الدائم إلى ما ينتظره بعد الموت، فالبحث عن الحقيقة و معرفتها يصطدم بهذا القصور و الإخفاق و محدودية العقل الإنساني، و هذا ما حال بينه و بين التفاؤل، و لعل فقد البصر عند
" أبي العلاء" هو ما يطبع رؤيته التشاؤمية فكان منطلقا للبحث عن الحقيقة التي اختلطت بهموم الإنسان العامة، و فلسفة وجوده في الحياة، فيتساءل أبو العلاء عن أسرار المجيء و الرحيل، أسباب العناء الإنساني المتواصل، أحاسيس الإنسان و عقله، بل تخطّت عين أبى العلاء" مصيرها الفردي لتبحث في الإلاهيات، مصدر النفس، أصل الكائنات، سر الناموس الكوني، و كل ما يتعلق بمصير الكائن الحي في الوجود، حيث حاول " أبو العلاء" أن يخضع هذه المسائل للعقل البشري، لكنه إرتطم بحاجز المحدودية، محدودية العقل، و القدرة الإنسانية جمعاء، لأنه من الصعب على الإنسان أن يجد حقيقة مطلقة – عدا وجود الله سبحانه – فطلب
" أبي العلاء" للحقيقة الوجودية في الظلام، أي إنطلاقا من إحساسه الحاد بفقد البصر، جعلها أكثر استعصاءً وصعوبة، فهو يرى أن تاريخ البشرية يسوده الظلام و الضياع، و لم يتيقن إلا من حقيقيتن إثنتين هما: وجود الله، و موته الشخصي الذي يمثل موت الإنسان عامة، و الحقيقة التي تجمع بينهما هي تناهي البشرية و ضعفها العظيم.[29]

و لعل إهتمام " إبى العلاء المعري" بهذه القضية – محدودية المعرفة الإنسانية - يثير التساؤل فيما إذا كانت محنته الحقيقية تكمن في فهمه للحياة إنطلاقا من أصول معرفية غير ثابتة، أم في استسلامه لعجز العقل الإنساني و محدوديته < إنّ محنة أبي العلاء الحقيقية، هي الاستسلام إلى عجز العقل و محدوديته، و الإحساس العظيم بتفاهة حجم الإنسان، و ثقل معاناته مما يوسّع المسافة بينه و بين الحقائق، لذلك كان شعر " أبي العلاء" و أدبه في معظمه تنويعات على هذه القضية ،لأنّ العمل الفني يولد من رفض الذكاء، أن يعلل الملموس تعليلا عقليا، و قد أدرك " أبو العلاء" جناية المعرفة على الإنسان و إظلامها عليه و إذلالها له [30]> .

ب- الزمان:

يعتبر الزمن الدائرة التي يدور في حدودها الوجود الإنساني، كونه يمثل وعاءً للأحداث و الموجودات، و هو أحد مكونات عالم أبي العلاء التشاؤمي، إذ أنه يرى في الزمن القوة التي تسيطر على حياة الإنسان و تجعله دائما في صراع معها. « و لقد كان الإحساس العلائي بالزمن أحد وجوه الكون الإنساني، فلم ير فيه سوى وجه صخري قاحل ينذر بالشر، و ينزل النقمة بالإنسان ... و أبو العلاء

---

[28] - ينظر: عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ج2، ص210.
[29] - ينظر، كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص160 – 163.
[30] - المرجع نفسه، ص153.

استشعر بعمق تسلّط قوى الزمان على الإنسان ... فعلى المرأ أن يعيش مع الزمن و يموت معه، أو يجب عليه أن يتحاشاه، و يتجاهله من أجل حياة أعظم ... فقد عانا أبو العلاء من مواجهة بشريته التي تؤكد له دائما هشاشته و قابلية وجوده للتلاشي، و تمكن كل الغوامض منه »[31]، ويرجع شعور أبي العلاء الحاد بالزمن إلى أنّه عانا الحياة بعمق و تواصل، و إلى أنّ تجربته معها في تناقض مرير بين إحساسه ببطىء الزمن الإهابةبالموت تارة، و الإحساس بالحرمان، و الإشفاق من مغادرة الحياة تارة آخرى، و هو في هذه الحالة يخاف من سرعة الثواني و الدقائق التي تقرّبه من الموت، قبل أن يأخذ من الحياة مايريده.

و الإنسان في هذه الحياة عند " المعري" يبدو و كأنّه يأتي أفعاله مجبرا خاضعا لسيطرة مهيمنة لا يقوى على التحرّر منها، و هذا ما أسماه " أبو العلاء" "بالزمان الذي بيده الإيجاد و الإعدام"، و على الرغم من وجود العقائد الدينية، و تصوّراتها التي ترفض فكرة الزمان المهيمن إلاّ أنّ فكر أبي العلاء لم يتخلى عن هذه الفكرة[32] .

إنّ " أبا العلاء" يقف على حافة الحياة، يراقب الأشياء و الموضوعات، و المواقف من خلال عزلته، و تفرده ناظرا إلى الزمان كحدث سريع غير ثابت، لايمكن إيقافه أو العودة به إلى الوراء، هذا الزمان الذي ظمّ الآلام و الماعاناة، و الحالات النفسية التي تميزت بها حياة " أبى العلاء" و التي كان مصدرها عاهته، و فقدانه لأمه التي كانت آخر أمل له في الحياة، و من هنا كان الزمان دافعا لتأكيد النزعة التشاؤمية عنده.

فالزمان يمثل قوة تخفي في طيّاتها أحداث و حقائق المصير الإنساني، إذ أنّه يبدو لأبي العلاء" في صورة بشعة تؤكد قسوته و غموضه، فساعات الزمن كأنّها وحوش مفترسة، و مخيفة و بشعة، تجعل من اليوم ثقيلاً و كأنّه رحلة إنسانية كاملة الكآبة، و يرى " أبو العلاء" في المشيب علامة انتصار الزمن على الإنسان معبّراً في ذلك عن مشاعر الحرمان من الحياة، و الخوف و السخط على الزمن، فيفضّل الإنسان الذي يموت شابا قبل أن يعبث به المشيب و يأكل من كرامة وجوده الإنساني، و بذلك يكون الموت إنقاذاً له من قسوة الزمن، و فعل الأيام و الخوف من الزمن يبعد أبو العلاء" من سياق تفكيره في الحياة، فهو ينظر إليها بعين بشرية فزعة، و إدراك ضعيف يائس، مايجعله متلهفا إلى اكتمال الحياة التي يحقق فيها ذاته و قوته[33] .

ج- الشر:

لقد شغلت ثنائية الخير و الشر الإنسان منذ القديم، و جعلته في صراع مستمر بين فكرة تغليب الواحدة على الأخرى، هذا الصراع المحتدم بين قوى الشر الهدامة وقوى الخير البناءة، جعلت " المعرّي" يطيل التفكير الفلسفي و التأملي في سر تغلغل الشر في نسيج الوجود و الكون، فكان سببا في تصوّره للحياة،و في خلق النزعة التشاؤمية عنده.

و لعل هذا ما عبّر عنه **" شوبن هاور"** في قوله:" نحن نشعر في كل لحظة بأنَّ جذور الشر متأصّلة في أعماق الوجود، لأنَّ الحيوان يتألم، و الإنسان يشقى، و العالم يفنى، و الوجود كله".[34]

لم يقتصر سخط " أبي العلاء" على إنسان عصره فقط، بل شمل الإنسان في عمومه كونه مطبوع على الشر منذ بداية الخلق ما جعله متشائماً ويائسا من إمكانية إصلاح الإنسان، و إستأصال عنصر الشر من حياته، ووجود هذا الخلل في حياة الإنسان يؤدي إلى تعطيل القوى الطبيعية للفكر و القدرة على الإستيعاب، و لعل هذا ما إتفق عليه علماء النفس و الفلسفة بأنَّ

---

[31]- المرجع نفسه، ص188.

[32]- ينظر عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ج2، ص216.

[33] - ينظر: كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص189 – 191.

[34] - المرجع نفسه، ص12.

« الشر إذا كان إتجاها سلوكيا في حياة إنسان ما فهو أثر للفشل الحياتي في تحقيق الذات و إعاقة النمو، و لأنَ الخير حليف البناء و الإنتاج و العمل على رقي الحياة، في حين الشر حليف الهدم، و التحطيم، و العمل على إعاقة الحياة »[35]

و على ما يبدوا أنّ فقد البصر في اعتقاد " أبي العلاء" كان ذلك الخلل أو الشر الذي سيطر على قواه، و منعه من التكيف مع الحياة فضاقت به السبل أمام ما يُطالع في الوجود من فوضى و ظلم و تسلطا لم ينجُ منها حتى عالم الحيوان الذي تتحكم فيه القوة وفقاً لمبدأ " القوي يأكل الضعيف"، " فابو العلاء" ينفي أي قدرة قد يكون بوسعها أنّ تنتصر على روح الشر المتأصلة في الوجود، و كائناته، حيث جعله من الثوابت التي ينبني عليها الوجود، و داخلٌ في تكوينه، و لا يزول إلاّ بزواله. هذه الرؤية العلائية للشر جعلته يستبعد فكرة أن يسود الخير و الأمن في مستقبل الإنسان.

و فكرة الشر التي عطلت حياة " أبي العلاء" جعلته يخوض في متهات و تساؤلات أراقت فكره، فتسائل عن حكمة الشر في الحياة و لماذا لا يرفعه الله عن مخلوقاته؟ و هذه التساؤلات لم يبحثها المعري انطلاقا من الفكر التاملي الخالص، بل إنطلاقا من محنته في الحياة كما انّه لم يصبغها بإيمانه، و قد خلص في الأخير إلى أنّ الشر تفرضه و تتصرف فيه قوّة غيبية خارجة عن إرادة الإنسان فيأتي الإنسان الشر مجبراً دون أن تكون له حرية اختيار ذلك، و مادام الإنسان غير حر في أفعاله، و انّه مدفوع إليها، فإنّ أبا العلاء يجد في الجبر خلاصا من المسؤولية و حاجزا يقف بين إرادة الإنسان في تغيير مصيره و إثبات وجوده، لذلك يغلب على شعره لفظ القدر و الهدر و الزمان، فيعلن إستسلامه لها، و سيطرتها عليه.[36]

غير أنّ ميل أبي العلاء إلى الجبر ليس ميلا مطلقا لأنّه يتناقض مع فكرة الجزاء، فيكون من الظلم أن يحاسب الإنسان على أفعال يكون مجبراً عليها، و بهذا تثبت إرادة الإنسان و حريته في إختيار أفعاله و مسؤوليته إتجاهها، لذلك كان الجبر « هو الذي يعذر الإنسان بعض العذر، و لكنه لا يعفيه من التبعات كلها، و هو الجبر الذي يبيح لأبي العلاء أن يلوم الناس على آثامهم.»[37]

و على أية حال لقد فقد أبو العلاء إيمانه بالإنسان مرّتين: عند اكتشافه للفجوة العميقة التي لا يمكن تجاوزها بين قوله و فعله و عند إكتشافه لنزعة الشر المتأصلة و المهيمنة على سلوك الإنسان، ممّا أدى به إلى الشعور بالإحباط من إمكانية صلاح ذلك الإنسان، كما فقد إيمانه بالحياة لما سببته له من يأس منعه من تحقيق ذاته و من الوُصول إلى أي نوع من الإكتمال.

د- الموت:

لطالما شغلت قضية الموت فكر أبي العلاء، فكانت شغله الشاغل في كل مراحل تفكيره، فتناولها بصورة متعددة، مثلت هي الأخرى عالمه التشاؤمي، وكان مفادها دائما « أن الحياة مقدمة الموت » و أن هذه الأخيرة نتيجة لازمة لها، فهو ينظر إليه بوصفه « وسيلة للخلاص أو التحرّر من ربقة الحياة، فعن طريقه يستطيع الإنسان أن يحصل على الأمان المفتقد في دنيا البشر، و هو يرى الموت حائلا بينه و بين ما يريد تحقيقه »[38] حيث يقول:[39]

و كيف أقضى ساعة بمسرة و أعلم أنّ الموت من غرمائي.

---

[35] - كاميليا عبد الفتاح، المرجع السابق، ص165.
[36] - ينظر: المرجع نفسه، ص166 – 174.
[37] - تغريد زعميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري و عمر الخيام، ص198.
[38] - عبد القادر زيدان، قضايا العصر، ج2، ص218.
[39] - أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2، ص65.

و كان موت الأحبة عنده، سبب خلق هذا الشعور و الإحساس الرهيب بالموت، فكان موت الأب بمثابة الإنتباه الأوّل للموت، أما موت الأم، فكان يمثل القطيعة النهائية بينه و بين الحياة، كان فقدا حقيقيا للبصر و فقدا للجذور و الإنتماء، و هذا ما جعل نفسية أبي العلاء تتشاءم من فكرة الموت، و تَعتقد بثنائية تجمع بين الموت و العيش مفادها " أن نعيش في الموت أو نموت في العيش"، و لقد نظر أبو العلاء إلى الموت إنطلاقاً من عجزه و حرمانه و شعوره الدائم بالنقصان فكان الموت بالنسبة إليه دائماً بمثابة المنقذ الوحيد الذي يخلصه من إشتهائه للحياة التي لم تتحقق فيها آماله و طموحاته.

و حين أراد أن يصّور قيود الموت، و مظاهره و سلطته على حياة الإنسان لم يجد أدق من " البرَّة " أو قطعة الحديد التي توضع في أنف البعير، تلك البرة لم تاتي إلى خياله عبثا بل أتت من إنفعال حقيقي و معاناة أصيلة من قيود الموت، و البرّة لا توجعُ إلاّ الأنف الذي لا يمثل هنا سوى تمثيليه الأنفة و الكبرياء الإنساني أما البعير فهو شديد الشبه بالإنسان الذي يحمل فوق ظهره كل قضايا وجوده عامةً كما يشبه محدودية الإنسان، و إنحنائه الداءم بالبعير الذي يسير منحني الرأس دون كلل.[40] حيث يقول:[41]

مالي بما بعد الردى مخبرة قد أدمت الأنف هذه البـرّة
الليل و الإصباح و القبط و الإيراد و المنزل و المقبره

و لعل أكثر التخوفات التي كان يشعر بها " أبي العلاء" اتجاه الموت تمخضت عن أسباب و دوافع كثيرة من بينها: إحساسه بأنه يجب أن يعيش قبل أن يموت، فحب الحياة دافع لكراهية الموت، و الخوف منه، مثلما كان الموت عنده دافع لكراهية الحياة، أما العامل الثاني فكان يتمثل في إحساسه الحاد بحتمية الموت، فهو يمثل الحقيقة المطلقة التي تستبد بوجود الإنسان، و قوة غادرة، متسلطة، و يزداد شعوره حدّة عندما يدرك أنَّ الأرض و ما تحويه كلّه موت.

ولا عجب في ذلك مادامت الأرض هي التي تلدُ الإنسان ،و هي التي تقبره كما أنّ مرحلة القبر و ما بعد الموت تعدُّ من العوامل الرئيسية وراء خوف أبي العلاء منه، إذ أنّ حالة التحلل التي يصل إليها جسد الإنسان عند موته جعلته يفزع ويخشى من بلي القبر، إلى درجة أنه يفضّل أن تكون جثته طعاماً للسّباع ،كونه يعتبر الحالة التي يصبح عليها في القبر إهانة، و إذلال للجسد البشري و للكرامة الإنسانية، و كما يظهر عامل آخر من عوامل تخوف أبي العلاء من الموت و يتمثل في مطاردة الموت للإنسان في حين تتمتع الجوامد بخلود نسبي، فالأجيال تمضي و تزول بينما الأرض باقية تنظر إلى الإنسان بوصفه ضعيفا و محدودا، و الأرض في نظره غادرة و خائنة تبدّل ساكينها و تلتهم أبناءها بعدما كانت أمّاً لهم و سبباً في نمائهم[42].

إنّ أبا العلاء أثناء طرحه لهذه القضية – قضية الموت – يخلص إلى أنّ الموت تأكيداً على إنعدام حرية الإنسان، وضآلة إختياره و وُجوده، ودليلاً قويا عن عجزه في امتلاك السبل لمقاومته، و تجنبه أو حتى تأجيله، لأنّه نظر إليه إنطلاقاً من نقصه، و تشوّهه و ضعفه، و محنته في الحياة، فكان سببا في توسيع نظرته التشاؤمية حول الإنسان و المصير و الوجود.

و من خلال عرضنا لمكوّنات عالم أبي العلاء التشاؤمي نستخلص أنّ نزعته التشاؤمية كانت وليدة بواعث عامة، و خاصة تتراوح بين أنواع الفساد السياسي، و الخلقي والديني، و بين ابتلاءه بالعمى و الوحدة و الوحشة ،و لعلّ مازاد في تعميق هذه النزعة إحساسه المرهف الرقيق الذي جعله يتأذى و يتألم، و يبالغ في حكمه على الناس و يعمم هذا الحكم على كل إنسان فإذا به يعتزلهم و ينقم على كل البشر، و يكره الحياة نفسها فيؤثر العدم على الوجود، و الموت على البقاء.

---

[40] - ينظر: كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص205.
[41] - أبو العلاء، اللزوميات، مج1،ص 513.
[42] - ينظر: المرجع السابق، ص206 – 218.

و في الآخير يبقى لنا أن نشير إلى أنّ هناك من الدّارسين من ينفردُ برأي خاص حول قضية تشاؤم المعري **" كخليل شرف الدين"** الذي يرى بأنّ أبا العلاء: « لم ينشأ على هذا الميزاج – رغم عماه – بل إننا نفهم من سيرته و حقيقة نفسيته أنّه كان مقبلاً على الدنيا، توّاقاً إلى اللّهو و اللّذة، توقه إلى المعرفة و الشهرة ... وما ذهابه إلى بغداد – في شبابه – و تطوافه في الحواضر السورية و العراقية و مراكز العلم إلاّ طلباً لكلّ ذلك، لكن المجتمع في أوضاعه السائدة و الفاسدة أنذاك غيّر حالته من إقبال إلى إدبار و من رضا وقبول إلى رفض وشك ... على أنّ روح المرح و الدعابة لم تفارقه حتّى في أسوء حالاته بل تحوّلت الدّعابة إلى سخرية و نقد مريرين، و المرح إلى جدية و إنكماش صارميين ... و إنقلب أبو العلاء معها إلى رفض عنيد لسيم حين إعتزل بعقله وراح يطلُّ على الناس ناعياً عليهم وجودهم، و قيمهم و عقائدهم ... مقترحاً له و لهم حلاً وحيداً هو الموت بشتى صوره».[43]

3- منطلقات التفكير العلائي في الوجود:

أ- القول بالعدم و إلغاء الغاية من الوجود:

نظر " أبو العلاء" نظرة شمولية إلى الوجود إنطلاقاً من محنته في الحياة، فراح يتأمّل و يتساءل عن حكمتها، و عن المنطق الذي يقف وراء الشرور التي تحيط بالإنسان، و الفوضى التي تطغى على حياته، و الإختلال الواضح في موازنين الأخذ و العطاء، و القدرات و الحظوظ، و التي لا يتحكم فيها العقل أو الجهد، فاستخلص من هذا « بأنَّ الوجود لا يخضع لأي تدبير معلل او علّة حكيمة ... و هو يجهر بهذا تارة، و يستنكره في تحفظ تارةً أخرى، لأنّه يعلم إصطدامه بالمنطقة الدينية، يعلم تناقضه مع ما أقرّ به هو من استسلام لله، و إقرار بحكمته و علمه، و قدرته»[44] و في هذا قوله:[45]

لولا بدائع " دلّت أنَّ خالقنا أدرى و أحكم قلنا خلقّنا له

و لعل الموت كان دليله على إنعدام العلة الغائية للوجود، وإفتقاد هذه الحياة للمعنى و هذا ما أدى به إلى القول بالعدمية، واعتبارها نسيجاً أساسياً في بناء الوجود: « إنّ القول بالعدمية ترحيبٌ بالموت، الموت للذات العاجزة، الموت للحياة التي بخلت عليه بالحياة الموت للأحياء الذين لم يشبههم يوماً في استواء حياتهم، الموت للآمال التي لم يذقها قط، الموت للآلام التي شوّهت جبينه و أدمت كبرياءه الإنساني، الموت للوجود كله الذي إستعصى عليه بأسراره و حقيقته، و تبدّى له خاليا من الروح و الحكمة و العلة »[46]

---

[43] - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، ص177.
[44] - كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص223.
[45] - المعري أبي العلاء، اللزوميات، مج2، ص275.
[46] - كاميليا عبد الفتاح، المرجع السابق، ص225.

و إذا جئنا إلى تعريف العدم فنجد أنَّ " **الفرابي"** قد عرّفه بقوله: « العدم لا وجود من شأنه أن يوجد »[47]، كما عرّف بأنّه: « الهوّة القائمة في نسيج الوجود المتحقق، بحيث يجزع فيه الوجود على حاله الذي آل إليه، و من هنا كان العدم شرط الوجود في المذهب الوجودي »[48]

لقد تغلب على " أبي العلاء" شعوره بذاته التي عجز عن تحقيقها إلى حدّ أنه أراد تعليل الحياة كلها من خلال تأملاته فيها، و ذلك حين تعطلت حياته، فراح يوسع من دائرة العدمية لتحيط بالحاة كلها، سابغا التاريخ البشري كله بهذا المصير القاتم و المظلم.
و في هذا يقول:[49]

في العدم كنا و حكم الله أوجدنا ثم اتفقنا على ثانٍ من العدم
سيان عام و يوم في ذهابهما كأنَّ مادام ثم انبت لم يدم

واللزوميات بخاصّة تمتلئ بهذه المشاعر التي تجعل من العدم قانوناً مهيمنا على الوجود، و من خلال هذه العدمية يشير أبو العلاء إلى قضية حرية الوجود الإنساني، فيتساءل هل للإنسان أن يرفض العدم؟ و أنَّ رفضه هذا هل له خيار آخر؟ هل للبشرية أمكان التواجد في أرض غير ارضها؟ يقول:[50]

أقمنا في الرحال و نحن سفر كأنّا قاعدون على الرّحــالِ
إذا ما كان أثمدنا تــراباً فأي الناس يرغب في اكتحالِ

و لعل شعور أبي العلاء" بعمق تسلّط قوي الزمان على الإنسان، دفعه إلى القلق على وجوده، وهو ما أدخله في الخوض في فكرة العدمية و نفي العلّة الغائية للوجود، والقول بالعدمية يعكس قلق الحي في مواجهة الموت والفناء، وهو أدل على تمسك أبي العلاء بالحياة، لأن القول بالعدمية هو محاولة من فكره المنفعل من أن يلغى فكرة الوجود بأسره، و فيما يتعلق بهذا القلق الوجودي نجد " **كير كجورد"** الذي يميز بين القلق و الخوف فيرى « أنَّ القلق هو شعور نحس به، ليس من معاناتنا للأخطار اليومية و إنّما في مواجهة سر الوجود و العدم، فالموت مثلاً لا يثير الخوف منه كحادثة تقع في العالم كل يوم، و إنّما يثير القلق في مواجهة المتعالي، فالخوف يرتبط بالهم، و الخشية من الألم، أما القلق فهو يطفو حينما يواجه الإنسان الأبدية، و حين يلتقي هو و المصير وجها لوجه»[51]

لقد أكد " أبو العلاء" على هشاشة الإنسان وضعفه أمام قوى الوجود، و أنّه مخلوق ضعيف وناقص، يتميز بالسوء و التناهي، و توصّل إلى أنَّ العدم و إنعدام الغاية، و الجبرية هي قيم سلبية تسيطر على الوجود كله، فراح يتبنّى النزعة الهدامة التي تعتبر أثراً من آثار الحياة المعطلة المعاقة التي لم ينجح فيها " أبي العلاء" في تحقيق ذاته، إذ أنّه يرى أنَّ الوجود الإنساني يتحقق عندما يجد الإنسان البيئة الخصبة التي يستثمر فيها فاعليته، أما إذا إصطدم ببيئة مقفرة فإنَّ وجوده هذا سيتِم إلغاؤه، و سوف يدخل في دائرة العدمية.

غير أنّه يوجد من عارض هذا الموقف – إنكار الغاية من الوجود - المنسب إلى " أبي العلاء" و من بينهم " طه حسين" الذي يقول: « أمَّا انا فأشك في أنّ أبا العلاء قد قصد بهذا رُؤى من أشد الآراء

---

47 - يوسف كرم، العقل و الوجود، دار المعارف، مصر، ص120.
48 - عبد الرحمان بدوي، الإنسانية و الوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار الفلم، بيروت، ص120.
49 - أبو العلاء المعري، للزوميات، مج2، ص477.
50 - المصدر نفسه، مج2، ص349.
51 - كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص225.

الفلسفية الأبيقورية خطراً، وهو إنكار العلة الغائية للوجود، و إثبات أنَّ العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي نعرفها نحن و نزعم أنَّ الأشياء قد خلقت لتحقيقها »[52]

ب- عبثية الوجود:

يعرّف العبث على أنّه « افتقاد المنطق و النضام و النتيجة، و هو معايشة الفوضى في كل الأنظمة المحيطة»[53]، أو هو الشعور باستعصاء ظاهر الكون على منطق العقل الإنساني، أو تصادمه مع قوانين هذا العقل المحدود معرفياً، حيث يستمد العبث مصادره من أربعة عوامل هي: الطبيعة الآلية للحياة، الإحساس الشديد بمرور الزمن ،الإحساس بالإنعزال، الإحساس الحاد بالإنعزال جوهريا عن باقي الناس.[54]

ومادمت العبثية تلد السأم و الملل من الحياة فإنَّ هذا السأم الذي يرتبط بالمعاناة، و التأمل الفكري، و الذي هو في صميمه رفض لمجرّد التفكير في حقيقة الوجود، و " أبو العلاء" في اللزوميات كما يقول الأستاذ "**أمين الخولي**":« أنّه توقف عن الانتماء لديناميكيَة الكون و نتَأ عن تشكيله النفسي و الشعوري العام و هو إذ عجز أن يكون في الكون قد أصابه الغثيان فسقط »[55]

ويتضح من خلال شخصية " أبي العلاء" و أدبه أنّه مولعٌ بتناقضات الحياة بما تحويه من تناقضات النفس البشرية و المجتمع الإنساني و تناقضات الكون بعمومه، و أنَّ هذه التناقضات هي التي تولّد السأم و العبث في الحياة.

و ليس من داع للعبثية أعظم من الشعور بمحدودية المعرفة الإنسانية و سذاجتها، أو على الأقل عدم القدرة على فك رموز هذا الوجود، إذ أنَّ نقصان المعرفة يعني انعدام اليقيين و الإرتحال إلى الموت حين يفتقد الإنسان الأمل في الحياة، فالموت هو أحد دواعي شعور
" المعرّي" بالعبث لأنّه استلاب للحرية الإنسانية، و كشف لتفاهة الإنسان و هشاشته، و نفي للقيم، فكان أشد الناس نقمة على الحياة، التي كانت في اعتقاده أضيق من المكان، و أقصر من الزمان باعتبار المكان وعاء للموجودات، و الزمان ظرف للأحداث و للموجودات أيضاً.[56]

و لم يكن من المستغرب إذن أن يكون " أبو العلاء" و قد أحاط به العجب و أخذته الدهشة لما يشاهد من فعل إنساني لا يتَفق مع ما يطالع في الوجود من عبثية، فالغموض الذي يغلق الوجود الإنساني و هذه العبثية لم تدفع الإنسان إلى التمرّد كما تمرّد " أبو العلاء" حينما واجه العدم في الوجود بعدمية علائية خاصة حين امتنع عن البناء و النسل.

---

[52] - كامل سعفان، في صحبة أبي العلاء بين التمرّد و الإنتماء، دار الأمين، ط1، القاهرة، 1414ه – 1993م، ص68.
[53] - كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص232.
[54] - ينظر: المصدر نفسه، ص15.
[55] - محمد صالح البيظي، الفكر و الفن في شعر أبي العلاء المعري، دار المعارف للنشر، القاهرة، 1981، ص296.
[56] - ينظر: كاميليا عبد الفتاح، المرجع السابق، ص235.

الفصل الثاني:

مواقف علائية من الإنسان ووجوده في اللزوميات

1- موقفه من المرأة.
2- موقفه من الأغنياء.
3- موقفه من رجال الدين.
4- موقفه من النسل.

إنّ مواقف أبي العلاء من مجتمعه و قضايا عصره، و من الوجود الإنساني ككل، في أدبه خاصةً في اللزوميات تُعد من المواقف الوجودية التي يتميز بها الأدب الوجودي.

هذا الأدب المسمى " بأدب الإلتزام" أو المواقف، و فيه يحدد الكاتب موقفه من مسائل عصره تحديداً تاماً، إذ لا قيمة مؤثرة للمبادئ التجريدية في ذاتها، دون ربطها بملابساتها، و دون تخصيصها بموقف معين، ووجود الأديب لا يتحقق بمجرّد الكشف عن الموقف، و لكن لا بدّ له من الإلتزام في صراع يستجيب فيه لما يوجهه إليه عصره من مسائل هي مثار القلق و مبعث الأمل و الألم فيه، و الوعي الحسي للأديب يُحتّم إشتراكه في مسائل قومه و مسائل العالم من حوله، كي يصوّرَ عالمه الذي يحيا فيه قاصداً إلى تطويره و خلقه خلقاً جديداً، لذلك كانت المسائل الجوهرية التي يعني بها الأدب الوجودي هي تصوير الأديب لعالمه و رسالته فيه[57]

و لعلّ هذا ما وجدناه في لزوميات " أبى العلاء" من مواقف تجاه مجتمعه و قضاياه، كموقفه من المرأة و الأغنياء و الحكام و الملوك، و رجال الدين، و المنافقين ، و كذا موقفه من الزواج و النسل، بإعتبارها مواقف علائية، أكثر ما تُعبّر عنه هو تصوره للإنسان و وجوده.

1- موقفه من المرأة:

[57]- ينظر: محمدغنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، ط3 ، القاهرة، 2004م ص321.

لقد كانت المرأة منذ القدم تمثل جانبا هاماً في المجتمع، فهي مُنشأَة الأجيال، وسبب لاستمرار الحياة، حيث شغلت إهتمام الكثير من الشعراء الذين عبَّرُرا عن مواقفهم تجَاهها، و من هؤلاء " المعري" الذي نظر إليها في لزومياته نظرة خاصة تتلاءم و عالمه النفسي.

عُرف عن " أبي العلاء" كرهه للمرأة نتيجة كرهه للحياة، قدعا إلى تعطيل النسل حتى لايزداد شقاء البشرية، إلى درجة تمنى فيها موت الطفل قبل ولادته حيث يقول: [58]

فأُفٍ لعصريهم نهاراً و حندسٍ و جنسي رجالٍ منهم و نساءُ
وليتَ و ليداً مات ساعةَ وضعه و لم يرتضع من أمه النفساء
يقول لها من قبل نطق لسانه تُفيدين بِي أن تُنكبِي و تُسائي

وقد فضّل " أبو العلاء" الإستمتاع بالمرأة التي لا تنجب لأن في نظره إنجاب الأبناء يعني تقديمهم للموت وسط مجتمع ظالم و زمان لا يرحم و حياة ملؤها الشقاء، و العناء، يقول: [59]

إذا شئت يومًا و صلةً بقرينةٍ فخير نساءُ العالمين عقيمها
لنا طرقٌ في كلِّ شرق و مغرب إلي الموت أعيا راكباً مستبقها

ويقول:[60]

ألا تفكر قبل النسل في زمن به حللت فتدري أين تلقيه
ترجو له من نعيم الدهر مُمَتعًا و ما علمت أنَّ العيش يشقيهِ

و أخلاق المرأة في نظر " المعري" ليست غير الخيانة و التسلط، و الإندفاع و يكفي الرجل من خطرها، تَعرضها له بالتبرج و الغواية، و إضعاف العقيدة ،كما يرى المرأة ملآ بالسم و الخديعة، وصل إلي درجة أنّه شبّهها في ذلك بالحيَّة المؤذية، يقول:[61]

أقل الذي تجني الغواني تبرج يُري العين منها حليها و خضابها
فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها و حاول رضاها واحذرن خضابها

ويقول أيضا: [62]

و إنما الخود في مساربها كربّة السم في تسرّبها

و المعري يرى في حصانة المرأة و عفّتها مجرد خرافة، فالمرأة لا يمكن الوثوق بها، و لهذا يري أنّ سر تحريم الإسلام دخول الطفل إلي مخدع المحارم راجع إلي هذا السبب يقول:[63]

إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
ألا إنّ النساء حبال غيىّ بهن يضيع الشرف التليد

« ان أبا العلاء، هذا الأديب العالم الذي ظلَّ على فهم المعرفة و شغف الإطلاع حتى صار عنده من كل أثرٍ خبر، خشي على المرأة من التعليم لأنَّ التعليم يفتح باب الحيلة و يوسع الخيال و يضع بين

---

[58] - أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2، دار صادر، بيروت، ص63.
[59] - أبو العلاء المعري، المصدر السابق، مج2، ص391.
[60] - المصدر نفسه، ص631.
[61] - المصدر نفسه، ص117.
[62] - المصدر نفسه، ص176.
[63] - المصدر نفسه، ص337.

يديها العالم بكل مافيه من مغريات و يزين لها الرأي و الإختيار، و لهذا قصر عملها على المغزل، و إن كان ولابد من قراءة القرآن و علوم الدين فبشروط »[64] يقول: [65]

ولا تحمد حسانك إن توافت بأيد للسطور مقومـــات
فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلمـات
سهام إن عرفن كتاب لسن رجعن بما يسوء مسممـات
و يتركن الرشيد بغير لـب أتين لهديه متعلمـــات
و إن شئن المنجم سائلات فلسن عن الضلال بمنجمات
ليأخذن التلاوة عن عجوز من اللائي فغرن مهتمـات
يسبحن المليك بكل جنـح و يركنَّ الضحى متأثمـات
فماعيب على الفتيات لحن إذا قلن المراد مترجمـات

و شروط تعلم المرأة عند المعرّي و التي تبّينها هذه الأبيات أهمها أنّها لا تتعلم، و إن حدث و تعلمت فالأحسن أن يكون معلمها عجوزاً متقدماً في السن لأنّها تمثل خطراً على معلمها.

« إن " أبا العلاء" كثيراً ما يبدّل بين موقع المرأة، و موقع الحياة في شعره ، مازجا بينهما معتبراً أنَّ إحداهما تعني الأخرى، و كثيراً ما يخاطب الحياة بأنّها العروس التي أوقع الطلاق بها و لكنه حين يتخيل الحياة أمًّا يأسف إذ لا منجا له منها، و هذا ما يدل على ارتباطه الشديد بأمِّه »[66] يقول:[67]

لو أنَّك العرس أوقعتُ الطلاق بها و لكنَّك الأم مالي عنكِ منصرف

و موقف أبو العلاء من المرأة كان قسما من موقفه لقضايا العصر كله، كان يرى الأحوال الاقتصادية، و الإجتماعية تسوء بمرور الأيام فلم يجد مفراً من النظر في مكانة المرأة التي أصبحت عضواً عاطلاً في المجتمع، لا تُزاول عملاً معيناً بقدر ما كانت عاملاً للفساد، و لذلك فرّق أبو العلاء بين المرأة الأم التي تشبه أمه و التي جاهدت كثيراً، و امتازت بالتُقَى و الورع ولم تخالط الرجال، و قضت حياتها بين صومٍ و صلاة، و تربية أولادها[68]، وهذا هو المثل الأعلى للمرأة عنده، وبين المرأة التي اعتبرها رمزا للغواية و الخديعة، وأداة للفساد.

و لعل فقد البصر هو الذي حال بين "أبي العلاء" و المرأة، بإعتباره كان حاجزاً أساسياً بينه و بين الحياة الطبيعية، حيث أورثه الحرمان من تلك الحياة، و كثيراً مايبك أبي العلاء حرمانهُ من الحسان، و كثيراً ما ينقلب على نفسه معيّراً إياها بالعجز و النقص حين تتشوّف إلى النساء، و هو يصف بوضوح تلك العلاقة بين عجزه و عزوفه عن المرأة في قوله:[69]

و المرأ ليس بزاهِدٍ في غادة لكنه بترقب الإمكانـــــا

و إذا اعتبرت قضية المرأة عند المعري جزءًا من قضية العصر بكامله فإنَّ هذا يزيل الحيرة و الإلتباس من موقفه إزاءها، ولا يدعو إلى إتهامه بالجناية على المرأة، و هكذا كانت أفكار شاعر مفكرٍ ينقد المجتمع، و يرجو له الصلاح و الرشاد.[70]

---

[64]- كامل سعفان، في صحبة أبي العلاء بين التمرد والانتماء، ص 164.
- أبو العلاء المعري، اللزميات، مج1، ص236.[65]
- كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، ص144.[66]
- أبو العلاء المعري، اللزميات، مج2 ،ص148.[67]
- ينظر: يسرى محمد سلامة، النقد الإجتماعي في آثار أبي العلاء، كلية الآداب، الإسكندرية ، 483ه- 1993م، ص ص255 ، 256. [68]
- أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2، ص530.[69]
- ينظر: المرجع السابق، ص256.[70]

2- موقفه من الأغنياء:

لقد كانت للمعرّي موافق كثيرة من الأغنياء في لزومياته، بحيث أدرك سبب البلاء الكامن في أمته، و هي أنّها مقسمة بين أغنياء، و فقراء لذلك انتشر الشفاء في البلاد يقول:[71]

و يابلاداً مشى عليها أولو افتقار و أغنيـــــاء
إذا قضى الله بالمخازي فكل أهليك أشقيـــــاء

فهو يحتقر الأغنياء، ويرى بأنَّ الناس جميعاً فقراء، و انَّ هذا الغني الزائل ليس دليلا على ثراء الإنسان، و أننا نحب العيش بغضاً للموت لا لحلاوة العيش ذاته يقول:[72]

و جدت الناس كلهم فقير و يعدمُ في الأنام الأغنيــاء
نحب العيش بغضاً للمنايا و نحن بما هوينا لأشقيــاء

و كيف لا يوسع الأغنياء اتهاماً و هو يرى الشتاء قد أتى، و إذا الناس بين فقيرٍ و عارٍ جسده، وأميرٍ يكتسي بأمنع الملابس ضد البرد، ولا يرى في الأمة، إلاّ أناساً يستحوذون على الرزق كلّه، بينما يحرم المحتاجون من القوت الضروري فيقول:[73]

قد جاءني هذا الشتاء و تحته فقير معرّي و أمير مــدوّج
وقد يرزق المجد أقوات أمّة و يحرم قوتا واحداً و هو أحوَجُ
فلا تشهرنّ سيفاً لتطلب دولة فأفضل مانلت اليسير المـروّج

ومن الأغنياء كذلك نجد الحكام، و الملوك الذين نقدهم أبو العلاء في لزومياته، و يرى أنّ مثل هؤلاء الملوك لا تجوز طاعتهم، ولا دفع الضرائب لهم، فنقدهم نقداً لاذعاً بطريقة مباشرة في سلوكهم، و أساليبهم في الحكم، وأخلاقهم الشخصية يقول:[74]

ملّ المقام فكم أعاشر أمــة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلمو الرعية فاسجازو كيدها وعدّو مصالحها و هم أجراؤها

و يقول:[75]

فكم قطعوا السبيل على ضعيف ولم يُعفَ النساء من الهجـوم

و يقول أيضاً:[76]

وأرى ملوكاً لاتحوط رعيَّةَ فعلام تأخذ جزية و مكـوس

و يقول كذلك:[77]

يسوسون الأمور بغير عقلٍ فينفذ امرهم و يقال ساســة.
فأفٍ من الحياة و أفٍ مني و من زمن رءاسته خسـاسة

---

[71]- أبو العلاء المعري ، مج1، ص50.
[72]- المصدر نفسه، مج1، ص51.
[73]- أبو العلاء المعري، المصدر السابق،مج1 ، ص253.
[74]- المصدر نفسه،مج1، ص54.
[75]- المصدر نفسه،مج2، ص405.
[76]- المصدر نفسه،مج2 ، ص32.
[77]- المصدر نفسه،مج2 ، ص35.

لقد عاب أبو العلاء على الحكام تعظيم أنفسهم إلى درجة الألوهية، و اتخاذهم من أسماء الله و صفاته أسماءاً لهم.
و في هذا يقول:[78]

كذب الذي سَما المملّك قاهرًا نحن الأذلّة و المليك القــاهر
و كذاك يدعا طاهر من كله نجس و يفقد في الأنام الطاهر

و يقول:[79]

لم أرض رأي ولاّة قومٍ لقّبو ملكا بمقتدر و آخر قاهــراَ
هاذي صفات الله جلّ جلاله فالحق بمن هجر الغواة مظاهرا

ثم إن أبا العلاء يتوجه بنقده إلى رمز العدالة و هو القاضي، فيتهمه بالزور و الفساد، و مدى ارتباط هذه الشخصية بشخصية الحاكم، كونه أداة في يد هذا الأخير يحقق بها مصالحه الشخصية، يقول:[80]

ورب شهادة وردت بزورٍ أقام لنصّها القاضي عدولــه
ومن شرِّ البريَّة ربّ ملك يريد رعية أن يــسجدو لــه

و لعلّ قمّة ماوجّهه المعري من نقد الملوك و الأمراء و صفهم بالنفاق و القهر و البطش بقوله:[81]

وأميرهم نال الإمارة بالخنا و تقيهم بصلاته متصــيّد

و يبدو أنَّ جور الحكام و بطشهم هو مايؤدّي بالرعيّه إلى النفاق طمعا في التقرّب إلى الحاكم أو خوفًا من ظلمه و غظبه فيقول:[82]

أمسى النفاق دروعاً يستجنّ بها من الأذى و يقوى سردها الحلف

و نفاق الرعية ، و تبلُّد حسهم لطول ماألفُو من ظلم و فساد بلغ بالمعرّي إلى درجة الضيق بهم ، و السخط عليهم، فقذفهم بكلمات لاذعة ملؤها اللّوم و العتاب لأنَّه يرى أنّ الرعية ظالمة لنفسها بإستسلامها لضعفها، و لظلم الحكام لها.

فيقول:[83]

أسكت و خل مظلهم و شؤونهم ليسوقهم بعصاه أو بحسامه
نصحو فما قبلوا، وباعو كثكثا من شرِّ معدنه بقيمة سامــه
كأنها غنمٌ ترودُ إسامــها من لايبالي كيف حال مسامه

ويقول:[84]

أعاذل إن ظلمتنا المــلوك فنحن على ضعفنا أظلــم

---

[78] - أبو العلاء المعري،المصدر السابق ،مج2، ص449.
[79] - المصدر نفسه، مج1، ص510.
[80] - المصدر نفسه،مج2، ص301.
[81] - المصدر نفسه،مج1، ص339.
[82] - المصدر نفسه،مج2، ص154.
[83] - المصدر السابق ،مج2،ص469.
[84] - المصدر نفسه ،مج2،ص414.

ومن مواقفه هذه يتضح انّ أبا العلاء كان يحلم و يتمنى حياة تخلو من أي علاقة غير متكافئة بين حاكم و محكوم، حياة علائية قوامها أن تتحكم الذات في ذاتها، تخلو من كل مضاهر الظلم و الطبقية، وتمنح للإنسان حقوقه و وتحفظ كرامته.

3- موقفه من رجال الدين و المنافقين:

لقد كانت للأبي العلاء المعري في لزوميانه آراء و إنتقادات موجهة إلى رجال الدين كونه يرى فيهم المثل الأعلا للأمة و الذي يجب الإقتداء به، و فسادهم يعني فساد الأمة، و لقد إتهمهم بعدم القيام بواجباتهم، فهم يدعون الناس للإلتزام بأشياء هم نفسهم لا يلتزمون بها، ففقهاء الدين و واعضوه ما كرون يحرّمون الخمرة على الناس صباحاً، و يُجاهرون بشربها في المساء فيقول:[85]

رويدك قد غررت و انت حرٌ بصاحب حيلة يعض النســـاء
يحرّمُ فيكم الصهباء صبحاً و يشربها على عمدٍ مســـاء

و يصف " أبو العلاء" المرائين في الدين و النسك بأنّهم كلاب تنبح، فهم لايخشون الإلاه، و إذا ذبح الفرد منهم لم يزد عن كونه ماعزاً، ولا يغرنَّ منهم أيديهم التي تمسك بالسج، ووقارهم في الصباح بينما يبيتون في الخطايا، إلى درجة أنَّ الأرض لو علمت بحقيقتهم لأرادت التطهُّر منهم و في هذا يقول:[86]

دعو ومافيهم زاكٍ ولا أحـــد يخشى الإله فكانو أكلبا نبحا
وهل أجل قتيل من رجالهـــم إذا تؤمل إلاّ ماعزا ذُبحـا
و ليس عندهم دين ولانســك فلا تغرنّك أيد تحمل السبحا
لو تعلم الأرض ودّت أنّها صرفت منهم فلم يرفيها ناظر شبحا

و يشك أبو العلاء في بعض النساك و يرى أنّهم لادين لهم، و أن سكن الصوامع ليس دليلا على النسك الصحيح، و التقى و الزهد، يقول:[87]

توهّمت يامغرور أنّك ديّـنٌ علي يمين الله مالك ديـن
تسير إلى البيت الحرام تنسكا ويشكوك جار بائس وخديـن

و يقول أيضا:[88]

لعمرك ما في الأرض زاهدُ يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع

كما يحذّر أبو العلاء من دعاة التصوّف الذين يفهمون الدين فهماً خاطأً فؤولائك الناس الذين يدّعون أنّهم وصلو إلى قمة الوجد الإلاهي إنّما هم في نظره مخادهون و كاذبون حيث يقول:[89]

تزيّنو بالتصوّف عن خداع فهل زرت الرجال أواعتميت
وقامو في تواجدهم فـدارو كأنّهم ثمال من كمـــيت
وما رقصو حذاراً مـن إلاه ولايبغون إلاَّ ما حميـت

---

[85]- المصدر نفسه، مج1، ص61.
[86]- المصدر نفسه،مج2، ص292.
[87]- أبو العلاء المعري،المصدر السابق،مج2، ص498.
[88]- المصدر نفسه، مج2، ص138.
[89]- المصدر نفسه،مج1، ص240.

وينعت " أبو العلاء" رجال الدين بالبهائم التي لا عقول لها، و يصف الناسك بالمارد فيقول:[90]

وقد فتشت عن أصحاب دين لهم نسك و ليس لهم رياءُ
فألفيت البهائم لا عقـول تقيم لها الدليل و لا ضياءُ

و يقول:[91]

تداعو فقالوناسك و ابن ناسك و هاهو إلاّ مارد وابن مارد

فإن تدين الإنسان عند " المعري" يكون بالفطرة، لذلك فهو يعجب من هؤلاء الذين يدّعون التديّن و الصلاح، و هم في المقابل ليسو إلاَّ منافقين و مزيفين للدين.[92]

4- موقفه من النسل:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

إنَّ هذا البيت أوصى به أبي العلاء بأن يكتب على قبره بعد وفاته و هو يدل على مدى مأساوية حياة " المعري" وماعاناه فيها من ضيق و قسوة وإحباط جعله يلقى اللوم على من كان السبب في وجوده و عنائه، و لعلَّ هذا البيت إن دلَّ على شيء فإنّه يدل على رفض " أبي العلاء" للنسل و لإستمرارية الحياة.

و إن كان بعض الدارسين يرى « أنّ الزواج رابطة دائمة تقوم على الأستقرار و الثبات فإنّه في نظر " المعري" تغذية مستمرة لعمية الموت، ذلك أنَّ الإنسان كما قيل: " يشعر في الموت بمجرّد أن يولد ، وهذه الفترة المحدودة التي يحياها إنّما هي المدة التي تستغرقها عملية وفاته »[93] فيقول المعري:[94]

جنى أبٌ وضع إبنا للرّدى غرضا إن عقَ فهو على جرمٍ يكافيه.

وأبو العلاء يري أنّه قد أراح أولاده الذين لم ينجبهم، فتركعهم في نعمة العدم، الذين لو ظهرُو لعانَو من شدّة الحياة و قسوتها، يقول:[95]

و أرحت أولادي فهم في نعمة ال عدم التي فضلت نعيم العاجل
و لو أنهم ظهرو لعانو شـدّة ترميهم في متلفاتٍ هواجل

و يري أبو العلاء أنّ الآباء يجنون على أبنائهم عندما يقدّمونهم للموت بسهولة و يسر و الإنجاب في نظرة جريمة بما يعنيه من ديمومة الحياة و إستمرارها بهذا الوجود الدائم للنّوع الإنساني، و هو يتحدث عن العقوق الذي يرتبط باللآباء و ليس بالأبناء، هذا العقوق الأبوي الذي يشبه حالة الضّب عندما يلتهم أبناءه، وهو بذلك يقدم لهم العقوق بدلاً عن الحنان.[96] فيقول: [97]

أبوك جنى شرا عليك و إنّما هو الضبُّ إذ يُسدي العقوق إلى الحسل

---

[90]- المصدر نفسه،مج2، ص51.
[91]- أبو العلاء المعري المصدر السابق،مج1، ص362.
[92]- ينظر: يسرى محمد سلامة، النقد الإجتماعي في أدب أبي العلاء، ص300.
[93]- عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري ج2، ص 300
[94]- أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2 ، ص630
[95]- المصدر نفسه،مج2، ص 354
[96]- ينظر عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص 134
[97]- أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2 ، ص 318

ثم إن أبا العلاء لا يكفّ على التحذير من النسل فعدّه ذنباً للفتي، ولأنّ عاقبته هي الموت ينصحه بأنْ يتزوّج من عقيم، فالعقم عنده يمثل شرف للإنسان، فهو يدعوا المرأة لأن تكون كالثريّا، و الشمس، و الجوزاء في حالة عقمها فيقول:[98]

أرى النسل ذنباً للفتي لا يقا له فلا تنكحن الدهر غير عقيم

و يقول:[99]

دع النسل إنّ النسل عقباه ميتةً ويهجر طيب الراح خوفاً من السكر

ويقول أيضًا:[100]

كوني الثريّا أو حصار أو ال جوزاء أو كالشمس لا تـــلد
فلا تِلك أشرف من مؤنثـة نجلت فضاق بنسلها الـــبلد

ويصوَّر المعري حالة الجنين في بطن أمه بحيث تحاوره أحشاؤها و تدعوه إلي عدم الخروج إلي الحياة، لما فيها من شقاء و عناء فيجيبها بأنه لا ذنب له في وجوده، فيبيَّن المعَّري من خلال أبياته التالية أنّ إدراك الإنسان لعلة مأساته ممثلة في وجوده، و تفكيره في الحيلولة دون نزوله إلي الأرض، وهذا ما تولد عنه فشل إرادة الإنسان و غلبة القدر، يقول:[101]

نادا حشا الأم بالطفل الذي اشتملت عليه ويحك لا تظهر و مت كمدَا
فإن خرجت إلي الدنيا لقيت أذى من الحوادث بله القيض و الجمدا
فلو تكلّم ذاك الطفل قال لـــه إليك عنّي فما أنشئت معتمـــدا
فكيف أحملِ عتبا؟ إن جري قدر عليّ أدرك ذا جد و من سمــدا

لقد أدرك " أبو العلاء" أنّ وجود الإنسان نفسه إن هو إلاّ ضرب من التناهي و الفناء، فالإنسان لا يموت لأنه يمرض أو يهرم، أو يضعف بل لأنه يحيا و إن هذا الإدراك لهذه الحقيقة المخيفة كانت وراء تهمته القاسية لعاطفة الأبوّة و كان في الوقت نفسه وراء هذا الإشفاق على الأبناء الذي تحوّل إلي دعوة ملحة لتعطيل الحياة و غيرها من الأفكار التي نادى بها " المعري" إنّما هي وليدة الرؤية و الوعي العلائي بالمصير الإنساني الذي ينتظر كل حي في نهاية المطاف، فأبو العلاء لم يكن مهموماً بالنسل كقضيّة أملتها ظروف إجتماعية و اقتصادية بل كان همّه الأوّل التوقّف عن إمداد الموت بهذه المائدة البشرية طواعيةً و إختيارًا.[102]
يقول المعري:[103]

لو أنّ كل نفوس الناس رائية كرأي نفسي تناهت عن خزاياها
و عطلُّوا هذه الدنيا فما ولدو ولا إقتنُوا واستراحو من منـاياها

- المصدر نفسه، مج2 ص 445 [98]
- المصدر نفسه، مج1، ص 520 [99]
- المصدر نفسه ،مج1، ص 343[100]
- أبو العلاء المعري، المصدر السابق ، ص 354[101]
-- ينظر عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء ، ج2، ص 135[102]
- أبو العلاء المعري، اللزوميات، مج2 ، ص 219[103]

ويبحث أبو العلاء في الحياة عن أشياء لا يمكن فقدانها، إلاّ أنّه يجد في الموت الفقد الذي يستحيل تعويضه، فما دام الشخص البشري هو حقيقة ذاتية لا يمكن إستبدالها بغيرها لأنّها في صميمها نسيج وحدها فإنّ حزن الوالد لوفاة واحد من أبنائه لا يمكن أن يعوَّضه بقاء أبنائه الآخرين ، أو إنجابه لنسل جديد، ومن هذا كانت فكرة العوض المفقود وراء تفضيل أبي العلاء البقاء في حيَّز العدم منذ البدء يقول:[104]

في العدم كنا وحكم الله أوجدنا ثم إتفقنا على ثان من العدم

إن أبا العلاء قد نظر إلى الوجود الإنساني نظرة تأمليّه عميقة، أدّت به إلي التساؤل عن جدوي هذا الوجود إذا كان الإنسان فيه يؤول إلي الفناء و العدم، ففي نظره كان أحسن لو لم يوجد آدم، ولا نسله بعده فيقول: [105]

خيرٌ لآدمَ و الخلق الذي خرجو من ظهره أن يكونو قبل ما خلقو
فهل أحس وبالي جسمه رمم بما رآه بنُوه من أذي ولاقــو
وما تريد بدارٍ ليست مالكـها تقيم فيها قليلا ثم تنطلقـــو

و من خلال ما عرضنا سابقًا يتّضح لنا أنّ موقف أبي العلاء المعري من النسل إنّما هو صورة تعكس موقفه من الوجود الإنساني ككل، فما دام النسل هو تحقيق لهذا الوجود الذي يعقبه دائما الفناء و العدم، فإن إبطاله يكون حلاً نهائياً لمأساة الإنسان في الوجود.

---

[104] - المصدر نفسه،مج2، ص 415

[105] - أبو العلاء المعري، المصدر السابق،مج2، ص 182

خاتمة

في الختام نقول أنّه من خلال بحثنا المتواضع، أننا توصلنا لمجموعة من النتائج أهمها:

- أبو العلاء المعري هو الشاعر الذي خلق منه عجزه الجسدي إنساناً ذا طاقة كبيرة من التعمق و التأمل، فكان الإمتزاج بين هذا العجز و أثره النفسي و بين ما زخربه مجتمعه من ظروف مختلفة و عوامل ثقافية و فكرية، و كان حصيلة هذا الإمتزاج أن أصبح لأبي العلاء توجّهاً خاصا، و تمثّلاً متفرّداً للمواقف و الرُّؤى.
- كانت حياة أبي العلاء بحثاً عن الأسباب المنطقية لوجوده فيها على هذه الشاكلة، لذا بدت نزعته في الوجود تشاؤمية و ساخرة.
- قول المعري بالعدمية و العبثية و اللاّجدوى من الحياة، تعكس مدى قلقه من مواجهة الموت و الفناء، و هو دليل على تمسّكه بالحياة.
- فشل أبو العلاء في تحقيق التوازن بين معطيات الوجود، وما يريده من هذا الوجود، أدّى به إلى نظرة تشاؤمية سوداوية لعموم الكون.
- يعتبر ديوانه اللزوميات من أبرز المؤلفات التي عبّر من خلالها عن موافقة المختلفة من المجتمع ككل، فسخط على المرأة و عبّر عن كرهه للنسل، و احتقاره و بغضه للأغنياء و رجال الدين، و هذا نتيجة لما رآه في الإنسان من فساد و شر و نفاق.
- شعور المعري بالنقص ولّد لديه حب التفوق و تحقيق الذات و الخوض فيما هو صعب و الدليل على ذلك نضمه لديوان اللزوميات على كامل حروف العربية.
- يعدُ موضوع الوجود الإنساني عند المعري موضوع غامض و متشعّب لذا ينبغي التطرّق إليه بمزيد من الدّراسات و الأبحاث الموسّعة.

ملحـــق:

ترجمة لحياة أبي العلاء المعري :

<<هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنّوخي المعروف بأبي العلاء، و لد في معرّة النعمان سنة تسع مائة و ثلاثة و سبعون للميلاد (973 م)، و قد أصيب في طفولته بداء الجدري ،و فقد بصره و هو في الرابعة من عمره، و لكن ذلك لم يحل دون تحصيله للثقافة الواسعة، فراح يطوف في البلاد باحثا منقبا مختطفا إلى المكتبات ،و دور المعلم مترددا على العلماء و الرهبان، حتى استقامت له ثقافة ذات شأن، فبرع في نظم الشعر و تفنن في تدبيج الرسائل>>[106] .

<< قرأ أولا اللغة و النحو عن أبيه بالمعرة ، وعن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب و غيرها من بني كوثر، و أصحاب بن خالويه و منهم أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز>>[107]

<< قرأ القرآن على يد جماعة اشتهروا بالقراءات السبع، و رواية الحديث أخذها عن أبي زكريا بن مسعر المعري، و أبي الفرج عبد الصمد ،و الضرير ألحمصي، و القاضي أبو عمر عثمان الطر سوسي و سواهم من رواة الحديث الثقات بالمعرة و حلب>>[108] .

و لعل رحلاته التي رحلها إلى أمهات بلاد الشام ،اختارها بعد وفاة والده لأنه صرّح بنفسه <<أنه لم يتعلم بعد العشرين من معرق وشام، و كان رأيه أن يتعلل بلقاء الرجال و يتسلى بشدّ الرحال، فقي أربعة منها قبل سنة 383ه ،ثم أقام بالمعرة في بيته يشتغل بالتعليم لبعض أبناء وطنه ،و سماع كتب النحو و العروض، و الأدب و اللغة ،و الأخبار من أصحابه، ليستكثر حظّه من العلوم و درس المسيحية و اليهودية أثناء تطوافه بالشام و أدياره>>[109] .

وفي سن السادسة و الثلاثين رحل إلى بغداد، و اتصل بنواديها الأدبية ،و اطلع على مكتباتها و تعرّف على الثقافة الفارسية عن قرب، كما تعرّف على الثقافة الهندية،و ما فيها من مقالات و آراء في الدين و الفلسفة[110].

<< وفيما هو في زحمة الحياة حمّل إليه نبأ مرض والدته، فترك بغداد قاصدا المعرة ،و فيما هو في الطريق توفيت العجوز، فجزع عليها جزعا شديدا ،و تركت وفاتها عميق الأثر في نفسه مما زاده تشاؤما، و حمله على الزهد و الاعتزال>>[111]، و لزم بيته بالمعرة و سمي نفسه " رهين المحبسين "، و يعني حبس نفسه في المنزل، و حبس بصره عن الرؤيا، بل إنّ أبا العلاء كان يرى نفسه حبيس ثلاثة سجون، من فقد بصره ،و لزوم بيته ،و من سجن روحه في هذا الجسد الترابي ،فهو الذي يقول:[112]

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتـي كون النفس في الجسم الخبيث

---

[106] - أبو العلاء المعري، رسالة الغفران ، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2007م، ص3.
[107] - عبد العزيز الميمني الراجيكوتي، أبو العلاء و ما اليه، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت ،2003، ص 43.
[108] - خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، ص 55.
[109] - عبد العزيز الميمني الراجيكوتي، أبو العلاء و ما اليه ،ص 67.
[110] - ينظر: عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص ص 84 ، 90.
[111] - أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ص 4.
[112] - عبد الكريم الخطيب، رهين المحبسين، دار الفكر العربية، ص 24.

<< شرع في التّصنيف و أخذ عنه الناس، و سارو إليه ،و مكث في هذين المحبسين (العمـــاء و البيت)، نحو خمسين عاما، ألّف خلالها تلك الكتب الكثيرة التي رواها له " ياقوت " في معجمـه ،و هي تدل على أنّه كان واسع الثقافات سعة شديدة، فهو يعرف الديانات و المعتقدات المختلفة كما يعرف الفلسفة و التنجيم، و التاريخ و التصوف، و ما يطوى في ذلك من ثقافات يونانية ،فارسية ،و هندية، كما كان على اطّلاع واسع بالتاريخ و الأخبار، و قد عني عناية خاصة بالثقافة اللغوية، فألّف في النحو و العروض، و تصنّع في الغريب في جميع أثاره ،و ليس من المبالغة بأنه كان إماما ممتازا من أئمة اللغة، فليس هناك شاذة لغوية إلا و هو يعرفها، و يسلكها فيها يكتب من نثر أو نظم، فيقول التبريزي: " ما أعرف انّ العرب نطقت بكلمة و لم يعرفها المعري"، و كانو يقرنونه إلى ابن سيدة اللغوي المعروف فيقولون: " كان بالمشرق لغوي، و بالمغرب لغوي في عصر واحد لم يكن لهما ثالث و هما: أبو العلاء و ابن سيدة "، و جليا أن أبا العلاء كان مثقف ثقافة لغوية واسعة ، كان يضيف إليها هذا الخليط المضطرب من ثقافاته الكثيرة، و خاصة ما اتصل بالثقافة الفنية من الشعر، إذا كان يعني عناية شديدة بجمع الأفكار و الصور على غاية من الذكاء و الحفظ فقيل له مرة: بما بلغت هذه الرتبة في العلم؟ فقال: " ما سمعت شيء إلا حفظته و ما حفظت شيء فنسيته>>[113]

وقد طارت سمعته إلى أعماق الأندلس، و أقاصي خرسان، و أخذ طلبة العلم يهرعون إليه من كل حدب و صوب، فيحطون رحالهم ببابه دون أمثاله و أضطرابه، و كما قال " ابن القارح: << قد شاع فضله في جميع البشر، و صار غرّة على جبهة الشمس و القمر، خلد ذلك في بدائع الأخبار، و كتب بسواد الليل، على بياض النهار >>[114] .

و إذا أتينا إلى عرض بعض صفاته و عاداته في حياته، نجد أنّه كان رقيق القلب، مرهف الشعور، سريع الانفعال، شديد الحياء، و قد كان من بيت ثراء إلا أنه لم يكن غنيا ، و كانت له نفس قوية لا يحمل ملّة أحد، و لو تكسّب بالشعر و المديح لنال بذلك دنيا و رئاسة، أما عن صفاته الجسدية فقد وصف المعري أنه كان دميم الخلقة، نحيف الجسم، مجدور الوجه على عينيه بياض من أثر الجدري، كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلا[115]

أما فيما يخص عاداته في الحياة فيقول الذهبي: أنه كان له مغارة ينزل اليه فيأكل فيها، و يقول العمي عورة، و الواجب استاره في كل أحواله، فنزل مرة وأكل دبسا فنقط على صدره منه و لم يشعر، فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة، يا سيدي أكلت دبسا، فأسرع بيده على صدره يمسه فقال: نعم لعن الله النهم، فاستحسنوا سرعة فهمه، و كان زاهدا في مأكله حيث كان يأكل العدس ،و حلاوته التين، و لباسه القطن و فراشه لبدا و حسيرة بورية ،و كان يتجنّب أصناف اللحوم و الصيد و البيض ،و حيوان البحر و هو يذهب مذهب البراهمة و مذهب الزهّاد في ترك اللذائذ، و لم يكن يستبيح في حال من الأحوال كائنا ما كان شرب الخمر، و كان عدوها من صباه إلى وفاته، و كان المعري مواضبا على الصلوات في مواقيتها، و لم ينقل عنه أحد أنّه كان متكاسلا فيها، و ذكر أنه اجتنب الجلود و اتّخذ لنفسه نعلا من الخشب ،و لما بلغ الثلاثين سأل ربه إنعامـــا و رزقه صوم الدهر فلم يفطر في العام و الشهر إلا في العيدين، و هو لم يتزوج قط، و من صفاته الرفق بالحيوان و العبيد[116]

و قيل في أمر وفاته أنه مرض ثلاثة أيام ،و مات في اليوم الرابع، و لم يكن عنده غير بني عمه، فقال لهم في اليوم الثالث أكتبو عني ،فتناولو الدويّ و الأقلام ،فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو

---

[113] - شوقي ضيف، الفن و مذاهبه، ص 378.
[114] - عبد العزيز الميمني الراجيكوتي، أبو العلاء و ما اليه، ص 151.
[115] - ينظر، أبو العلاء المعري، رسالة الغفران ،ص 4.
[116] - ينظر عبد العزيز الميمني الراجيكوتي، المرجع السابق،ص ص 138 - 143.

محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنّه ميّت، فمات ثاني يوم من يوم الجمعة ،الثالث من شهر ربيع الأول سنة 449ه ،و كان عمره ست و ثمانين سنــة و أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

هذا جناه أبي علي و ما جنيت على أحد

و ذكر أنّ الذين رثوه على ما قيل أربعة و ثمانون شاعرا، و ختم في أسبوع واحد على قبره مائتا ختمة، كلهم من تلامذته و قد قرؤو عليه، وروى عنه الكثير من العلماء و الأدبــاء و المحدثين من أهل المعرة و غيرهم[117].

و قد رحل أبو العلاء المعري تاركا وراءه الكثير من التآليف و الرسائل المطبوعة و المخطوطة منها في الشعر و النثر أهمها:

1- في الشــعر:

- اللزوميات:

لزوم ما لا يلزم هو << ديوان شعر كبير يحتوي نحو أحد عشر ألف بيت و كله فلسفة و اعتبار و نقد للحياة،و سماه بذالك لأنه التزم قبل الروي حرفا إذا غيّر لم يكن مخلا بالنظم ،ولفظ اللزوميات،أو لزوم ما لايلزم هو شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته ،بعد رجوعه من بغداد ،فقد التزم في شعره و نثره و سيرته أشياء لم يلتزمها من قبل،ولم يكن من الحق عليه التزامها،وإنما آثرها حين راضى نفسه على تكلف المشقة واحتمال المكروه>>.[118] ويقول المعري فيما يتعلق بتسمية كتابه باللزوم : << وقد تكلفت في هذا الكتاب ثلاث كلف

الأولى: انه ينتظم حروف المعجم عن آخرها

والثانية: أن يجيء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك

والثالثة:أنه لزم مع كل روي فيه شيء لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف.>>[119]

- سقط الزنـد:

يظم الديوان ثلاثة آلاف بيت من الشعر مما قاله أيام صباه ،وإقبا له على الحياة، وقد شرحه أبو العلاء نفسه تحت عنوان " ضوء السقط " و وقف خاصة على الغريب من ألفاظه و شرحها و قرّبها إلى الأذهان، و ديوان " سقط الزند " هو من شعر الشباب و قد سماه بهذه التسمية إمعانا في التورية و الغموض فالسقط أول النار الخارجة من الزند ،و الزند هو العود الذي يقتدح به، و كانت معظم موضوعاته تدور حول الغزل و الرثاء و الفخر و الوصف[120]

2- في النثر:

رسالة الغفران:

كانت إجابة على الرسالة التي بعثها إليه" ابن القارح" فكانت رسالة طويلة و كوميديا إلاهيّة مسرحها الجنّة و النار، و قد ضمّنها فنونا شتى من اللغة، و الأدب و الأخبار، ففي هذه الرسالة كما يقول العقاد:<< كان المعري ساخرا جادا في السخر، يخرج التشاؤم مخرج التفاؤل و يعرض اليأس في ثوب الأمل، و

---

[117] - ينظر عبد العزيز الميمني الراجيكوتي ، المرجع السابق،ص ص157 ،179.

[118] - تغريد زعيميان، الاراء الفلسفية عند ابي العلاء المعري وعمر الخيام، ص 186.

[119] - محمد الحبيب حمادي، المعري وجوانب من اللزوميات، دار التونسية للنشر ،ط3 ، 1984 ، ص 64.

[120] - ينظر، خليل شرف الدين ، ابو العلاء المعري، ص ص 72، 73.

يبتسم من آمال الناس في الدنيا و الآخرة، ثم يعود فيبتسم من ابتسامه، يعبث بالكافرين و يعرّض بهم في ظاهر القول، و هو بالمؤمنين أشد عبثا و أبلغ تعريضا>>.[121]

و هناك رسائل أخرى كثيرة و عديدة نذكر منها:

- رسالة الملائكة
- رسالة ملقى السبيل
- رسالة التذكرة
- عبث الوليد
- الفصول و الغايات
- رسالة الهناء
- زجر النابح
- الصاهل و الشاحج .

قائمة المصادر و المراجع:

1- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
2- أبو العلاء المعري، لزوم ما لايلزم، مج1، مج2، دار صادر، بيروت (د، ت).
3- تغريد زعيميان، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري و عمر الخيّام: ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423ه، 2003م.
4- خليل شرف الدين، أبو العلاء المعري، مبصر بين عميان، ضمن في سبيل موسوعة فلسفية (4) (د، ط)، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1405ه، 1985م.

[121] - عباس محمود العقاد، الأدب و النقد، مج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1411ه 1991م، ص 133.

5- سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة و الدين، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، (د، ت).
6- شعيب خلف: التشكيل الإستعماري في شعر أبي العلاء المعري، ط1، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، كفر الشيخ، 2008م.
7- شوقي ظيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي ط2، دار المعارف، القاهرة، 1993م.
8- عباس محمود العقاد، الأدب و النقد، مج25، ط1، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، 1403ه، 1983م.
9- عبد الرحمان بدوي: الإنسانية و الوجودية في الفكر العربي، (د، ط)، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، (د، ت).
10-عبد العزيز الميمني الراجيكوتي، أبو العلاء وما إليه، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2003م.
11-عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، ج1، ج2، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، 2002م.
12-عبد الكريم الخطيب، رهين المحبسين، (د، ط)، دار الفكر العربي، (د، ب)،(د،ت)
13-كامل سعفان، في صحبة أبي العلاء بين التمرّد و الإنتماء: ط1، دار الأمين، القاهرة، 1414ه، 1993م،
14-كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم، (د، ط)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008م.
15-كمال اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، ط2، دار الجيل، بيروت، 1417ه، 1997م.
16-محمد الحبيب حمّادي، المعري و جوانب من اللزوميات، ط2، الدار التونسية للنشر، (د، ب)، 1984م.
17-محمد صالح اليظّي، الفكر و الفن في شعر أبي العلاء المعري، (د، ط)، دار المعارف للنشر، القاهرة، 1981م.
18-محمّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط3، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2004م.
19-يسرى محمد سلامة، النقد الإجتماعي في آثار أبي العلاء ،(د، ط)، كلية الآداب، الإسكندرية، 1993م.
20-يوسف كرم، العقل و الوجود، (د، ط)، دار المعارف، مصر، (د، ت).

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة:

مدخل: الظروف و العوامل المؤثرة في فكر أبي العلاء المعري.

1- الظروف السياسية و الإقتصادية 06

2- الظروف الإجتماعية 07

3- إظطراب الحياة الدينية 08

4- فلسفة المعري، و تاثّره بالثقافة اليونانية و الهندية 09

أ- فلسفته 09

ب- تأثره بالثقافتين اليونانية و الهندية 10

الفصل الأول: قضايا و جودية عند أبي العلاء المعري.

1- أصل الإنسان عند المعري 13

2- مكوّنات عالم أبي العلاء التشاؤمي 15

أ- قُصور المعرفة الإنسانية.....15

ب- الزمان 16

ج- الشر 17

د- الموت 19

3- منطلقات التفكير العلائي في الوجود 22

أ- القول بالعدم و إلغاء الغاية من الوجود 22

ب- عبثية الوجود 24

الفصل الثاني: مواقف علائية من الإنسان ووجوده في اللزوميات.

1- موقفه من المرأة 27

2- موقفه من الأغنياء 30

3- موقفه من رجال الدين 33

4- موقفه من النسل 35

خاتمة:

ملحق:

ترجة لأبي العلاء المعري 42

قائمة المصادر و المراجع .....